الإرشاد

إلى توضيح

لمعة الاعتقاد

للإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي

٥٤١ - ٦٢٠ هـ

تأليف

الشيخ العلامة

زيد بن محمد بن هادي المدخلي

حفظه الله تعالى

للنشر والتوزيع

الإرشاد إلى توضيح لمعة الاعتقاد

للإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي
٥٤١ - ٦٢٠ هـ

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

العلم ميراث النبي كذا أتى ... في النص والعلماء هم وراثه

ما خلَّف المختار غير حديثه ... فينا فذاك متاعه وأثاثه

رقم الإيداع القانوني: 2011-5505

ردمك: 978-9947-987-34-6

الميراث النبوي للنشر والتوزيع

الدار البيضاء - الجزائر العاصمة

الإدارة: 554250098 (00213) المبيعات : 661409999 (00213)

الفاكس : 21966847 (00213)

البريد الإلكتروني: Dar.mirath@gmail.com

الإرشاد

إلى توضيح

لمعة الاعتقاد

للإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي

٥٤١ - ٦٢٠ هـ

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

زيد بن محمد بن هادي المدخلي

الميراث النبوي للنشر والتوزيع

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

والحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه، أما بعد: فقد قام بعض طلاب العلم بتفريغ هذه المادة من عدة أشرطة، فجزاهم الله خيرًا، وكانت دروسًا ألقيتها علىٰ نخبة من طلبة العلم، وبقيت مفرغة من وعائها الأول في وعائها الثاني، فتصدىٰ لها الابن الفاضل محمد بن زيد المدخلي مدير المكتب التعاوني في محافظة صامطة، والمشارك مشاركة رسمية في التوعية الإسلامية في الحج التابعة لوزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، فرتبها وصححها وأضاف إليها ما دعا المقام إلىٰ إضافته مع عرضه عليّ كل ذلك، فاستحسنت طبع هذه المادة، وأذنت للابن محمد بن زيد في طبعها وإخراجها، نرجو جميعًا من الله الثواب علىٰ تحصيل العلم ونشره، والحمد لله الذي بفضله وتوفيقه يتم كل عمل صالح مبرور.

قاله وحرره:

زيد بن محمد بن هادي المدخلي

١٤٣٢/٦/٤هـ

❋ ❋ ❋

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه أما بعد فقد قام بعض طلاب العلم بتفريغ هذه المادة من عدة أشرطة جزاه الله خيرًا وكانت دروسًا ألقيتها على نخبة من طلبة العلم ونقيت مفرغة من وعائها الأول في وعائها الثاني فتصدى لها الابن الفاضل محمد بن زيد المدخلي مدير المكتب التعاوني في محافظة صامطة والمشارك مشاركة رسمية في التوعية الإسلامية في الحج التابعة لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد فرتبها وصححها وأضاف إليها مادة علمية إلى إضافته مع عرضه علي لكل ذلك فاستحسنا جمع هذه المادة وأذنت للابن محمد بن زيد في طبعها وإخراجها نرجو أن يكون عونًا للدارسين على تحصيل العلم ونشره والحمد لله الذي بفضله وتوفيقه يتم كل عمل صالح مبرور.

قاله وحرره
زيد بن محمد بن هادي المدخلي
٤/٦/١٤٣٢هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الإِرْشَادُ إِلَى تَوْضِيحِ لُمْعَةِ الاعْتِقَادِ

مُقَدِّمَةٌ

الحمد للَّه ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين، وخاتم النبيِّين نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد: فإنَّ أمر العقيدة الإسلاميَّة له شأن عظيم، ومنزلة رفيعة في ميزان شريعة الإسلام؛ إذ هي الأساس المتين الذي يُبنىٰ عليه سائرُ أحكام الدين، ولفضلها وجلالة قدرها بدأ الرسل الكرام والأنبياء العظام عليهم الصلاة والسلام دعوة أممهم إليها، إذ كل واحد منهم قال: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [هود: ٥٠]، وإنَّ خاتمهم نبيُّنا محمد ﷺ بدأ دعوته بها، ولبث ثلاث عشرة سنة في مكَّة يدعو إلىٰ توحيد الله، ويغرس جذوره في أعماق النفوس، ويبني أسسه ودعائمه في القلوب، ونزلت أغلب سور القرآن الكريم تقريرًا لذلك الأمر العظيم، ولذا اهتمَّ بها العلماء قديمًا وحديثًا تعلُّمًا، وتعليمًا، وتأليفًا، ونشرًا، فكم من الكتب أُلِّفت فيها، بعضُها المختصر، وبعضُها المطوَّل، وبعضُها المنثور، وبعضُها المنظوم، ومن تلكم الكتب هذه الرسالة المسمَّاة: (لمعة الاعتقاد)، لمؤلفها: الإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قُدامة المقدسي، المولود

عادته - حفظه اللَّه ووفقه - مع طلابه.

أسأل اللَّه أن يجزيه خيرًا، وأن يرفع درجته في عليِّين، وأن يجعله إمام هدىٰ ورشاد، وأن يرزقنا جميعًا حسن النية والعمل، والثبات علىٰ ذلك حتىٰ الممات، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبيِّنا محمد وعلىٰ آله وصحبه.

محمد بن زيد بن محمد بن هادي المدخلي

صامطة

جوال: ٠٥٠٣٥٤٦٨٧٠

❁ ❁ ❁

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَحْمُودِ بِكُلِّ لِسَانٍ، الْمَعْبُودِ فِي كُلِّ زَمَانٍ، الَّذِي لَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ، وَلَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ، جَلَّ عَنِ الْأَشْبَاهِ وَالْأَنْدَادِ، وَتَنَزَّهَ عَنِ الصَّاحِبَةِ وَالْأَوْلَادِ، وَنَفَذَ حُكْمُهُ فِي جَمِيعِ الْعِبَادِ، لَا تُمَثِّلُهُ الْعُقُولُ بِالتَّفْكِيرِ، وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الْقُلُوبُ بِالتَّصْوِيرِ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [سورة الشورىٰ: ١١].

❁ الشـــرح:

هذه مقدمة الرسالة، بدأها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالبسملة؛ اقتداءً بالقرآن الكريم، واتِّباعًا للسنة، ومعناها: أبدأ مستعينًا ومتبرِّكًا بكلِّ اسم من أسماء اللَّه تعالىٰ، ومعنىٰ: **(اللَّه)** أي المألوه، أي المعبودُ حبًّا وتعظيمًا، و**(الرَّحْمَنِ)** اسم من أسماء اللَّه تعالىٰ، دالٌّ علىٰ صفة عظيمة، وهي صفة الرحمة العامة، و**(الرَّحيم)** اسم من أسماء اللَّه تعالىٰ، دالٌّ علىٰ صفة الرحمة الخاصة بالمؤمنين؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾ [الأحزاب: ٤٣]، لمن شاء من خلقه، وثنَّىٰ بالحمد؛ عملًا بالحديث: «**كُلُّ كَلَامٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ فَهُوَ أَجْذَمُ**»(١).

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٤٨٤٠) واللفظ له، وابن ماجه برقم (١٨٩٤)، وابن حبان في

و(الحمد): هو الثناء علىٰ اللَّه بكل ما هو له من صفات الكمال والجمال، وبصفات الأفعال الحميدة، مع المحبَّة له والتعظيم، واللَّه عَزَّوَجَلَّ (المَحْمُود): أي موصوف بالحمد، ومنعوت به، (بِكُلِّ لِسَانٍ): بلسان المقال لمن ينطق، وبلسان الحال لمن لا ينطق؛ قال تعالىٰ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ [الجمعة: ١].

وقوله: (الْمَعْبُود فِي كُلِّ زَمَانٍ)، أي يعبده من في السموات ومن في الأرض في كل زمان وكل مكان، وقد أمر الله بعبادته في قوله الحق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١﴾ [البقرة: ٢١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ۝٨٤﴾ [الزخرف: ٨٤]. أي معبودٌ في السماء وفي الأرض.

وقوله: (الَّذِي لَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ) هذه الجملة شروع في ذكر صفات اللَّه تعالىٰ بإثبات إحاطة علم الله بجميع مخلوقاته؛ كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ...﴾ الآية [سورة المجادلة: ٧]، وفي كلامه ردٌّ علىٰ الحلولية الذين يدَّعون أن الله حالٌّ بذاته في المخلوقات - تعالىٰ الله عما

=

صحيحه (١/ ١٧٣ - ١٧٥ برقم ١ و٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال أبو داود عقبه: «رَوَاهُ يُونُس وَعُقَيْلٌ وَشُعَيْبٌ وَسَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُرْسَلًا».

يقولون -، بل اللَّه العليُّ الأعلىٰ.

وقوله: (وَلَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ) أي لا يشغله سماع هذا عن هذا في سمواته وأرضه، بل يسمع دعاء الجميع، ويعرف حاجاتهم، ويجيب من يجيب، ويقضي ما شاء بفضله ورحمته، ويمنع من شاء بحكمته وعدله، فهو ذو الفضل العظيم، وهو العزيز الحكيم.

قوله: (جَلَّ عَنِ الْأَشْبَاهِ وَالْأَنْدَادِ، وَتَنَزَّهَ عَنِ الصَّاحِبَةِ وَالْأَوْلَادِ) أي: تنزّه الله وتقدَّس عن صفات النقص والعيب، وتنزَّه عن مشابهة جميع مخلوقاته لأنه خالقها، وتنزَّه عن الشركاء والأمثال، له الكمال المطلق، وذلك يُثبت وحدانيته فلا يُعبد غيرُه؛ قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ [الجن: ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، واللَّه غنيٌّ عن المخلوقات، والمخلوقات جميعُها في حاجة إليه؛ كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥﴾ [فاطر: ١٥]، وقد ذمَّ اللَّهُ اليهود بقوله الحق: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾ [الآية من سورة آل عمران: ١٨١]، والمقصود أنَّ علىٰ المسلم أن يُنزِّه اللَّه عن الشريك، وعن الصاحبة، وعن النِّد، والنظير، والمثيل، ويُثبت له تعالىٰ صفات الوحدانية، وجميع صفات الكمال والجلال.

قوله: (وَنَفَذَ حُكْمُهُ فِي جَمِيعِ الْعِبَادِ) أي: أن اللَّه هو الحاكم في جميع مخلوقاته، يحكم فيهم بما يشاء، فهو الذي تنفذ أحكامه في جميع مخلوقاته، بالإحياء والإماتة، والصحة والمرض، والأرزاق، والآجال، وفي كل شأن من الشئون، فحكمه نافذ في جميع الخلق، له التصرف المطلق وَفق حكمته؛ لأنه هو خالقهم، والمتصرِّف فيهم، فلا رادَّ لقضائه، ولا مُعقِّب لحكمه؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠].

قوله: (لَا تُمَثِّلُهُ الْعُقُولُ بِالتَّفْكِيرِ) أي: أنه سبحانه لا تستطيع عقول البشر أن تمثّله؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فلا يعلم كيفية ذاته وصفاته إلا هو، والتفكير في اللَّه لا يجوز، بل كلَّما خطر علىٰ القلب محاولة معرفة كيفية ذات الرب أو صفاته؛ فالربُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ خلاف ذلك؛ لكماله، وتنزُّهه عن مشابهة مخلوقاته، أما التفكير في مخلوقات اللَّه ليُستدلَّ بها علىٰ قدرة اللَّه ورحمته وعظيم صنعه؛ فعبادة.

قوله: (وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الْقُلُوبُ بِالتَّصْوِيرِ) أي: كذلك قلوب العباد لا تستطيع أن تصوِّر وتتخيَّل كيفية ذات اللَّه وكيفية صفاته؛ لأن هذا ليس من شأن العباد ولا في قدراتهم، وإنما هو من خصائص الله، فلا يعلم كيف هو إلا هو، بل الله هو المحيط بمعرفة ذاته، وكيفية أسمائه وصفاته، ولهذا

وجب أن نصف اللَّه بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسولُه ﷺ علىٰ الوجه اللائق به.

ثم أورد المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ دليلًا علىٰ إثبات صفات الكمال للَّه، وعلىٰ تنزُّهه - سبحانه - عن صفات النقص، وهو قوله تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورىٰ: ١١]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ أي: لا يشبهه أحد، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وفيه ردٌّ علىٰ طائفة ضالَّة وهي طائفة (المشبِّهة). وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ فيه ردٌّ علىٰ طائفة ضالَّة - أيضًا - وهي طائفة (المعطِّلة)؛ لأنهم ينفون صفات الكمال، وهم أهل التعطيل الكلِّيِّ كالجهميَّة والمعتزلة، أو يؤوِّلونها تأويلًا مذمومًا وهم أهل التعطيل الجزئيِّ كالأشاعرة والكُلَّابية والماتُريدية. وقوله: ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ اسم كريم لِلَّهِ دلَّ علىٰ إثبات صفة السمع له تعالىٰ، وهي صفة ذاتية حقيقةً، تليق به جَلَّ وَعَلَا. و﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾ اسم كريم لِلَّه دلَّ علىٰ إثبات صفة البصر للَّه تعالىٰ، وهي صفة ذاتية حقيقة، تليق به جَلَّ وَعَلَا، كما هو معتقد أهل السنة والجماعة.

❋ ❋ ❋

قول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ، وَالصِّفَاتُ الْعُلَىٰ، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾ [سورة طه: ٥ - ٧]، أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَقَهَرَ كُلَّ مَخْلُوقٍ عِزَّةً وَحُكْمًا، وَوَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا، مَوْصُوفٌ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ، وَعَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ.

❁ الشـــرح:

قول المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَالصِّفَاتُ الْعُلَىٰ**): هذا إثباتٌ من المؤلِّف كغيره من أئمَّة السنَّة بأنَّ لِلَّهِ تعالىٰ الأسماءَ الحسنىٰ، والصفاتِ العلىٰ، التي سمَّىٰ ووصف بها نفسه في كتابه الكريم أو علىٰ لسان نبيِّه ﷺ، وأسماءُ اللَّه كلُّها حسنىٰ: أي رفيعة المعنىٰ، جليلة القدر، بالغة في الحسن غايته، وليست أسماءً مجرَّدة من المعاني كما تقول المعتزلة، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وأسماء اللَّه كثيرة، لا يحصيها إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لما ثبت في دعاء النبيِّ ﷺ: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ**».

رواه أحمد وابن حبان[٢]، وصححه الألباني[٣]، فقوله: «**أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ**». يدلُّ علىٰ أنه لا يمكن للخلق حصرها ولا الإحاطة بها، وأمَّا ما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[٤]، فلا يدلُّ علىٰ حصر أسماء الله في هذا العدد، بل يدلُّ علىٰ أن هذا العدد من أسماء اللَّه التي أوحاها إلىٰ نبيِّه ﷺ، والنبيُّ بلَّغها الأمة.

ومعنىٰ (**الصفات العلىٰ**) أي: العالية الرفيعة، التي لا يشبهها شيء من صفات المخلوقات، بل هي صفات كمال لا يعتريها نقص ولا تغيُّر ولا خلل، وإنما النقص والخلل والفناء لذوات المخلوقين وصفاتهم، فإذا وصفنا الله بصفة السمع والبصر - مثلًا - وجب إثباتُهما للَّه علىٰ وجه الكمال المطلق، وأن سمعه تعالىٰ ليس كسمع خلقه، وبصره ليس كبصر خلقه، وهكذا القول في بقيَّة أسماء اللَّه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ الواردة في الكتاب والسنة.

ثم أورد المؤلِّف بعضًا من النصوص الدالَّة علىٰ إثبات أسماء اللَّه

---

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٣٩١)، وابن حبان في صحيحه (٣/ ٢٥٣ برقم ٩٧٢)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) الصحيحة برقم (١٩٩).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٧٣٩٢)، ومسلم برقم (٢٦٧٧).

دلَّت الآية علىٰ إثبات صفة الإحاطة، وصفة العلم للَّه تعالىٰ، وهما من صفات الكمال له تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، كما دلَّت علىٰ أن علمنا لا يحيط بذات الله جَلَّ وَعَلَا، ولا بصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقوله: (وَقَهَرَ كُلَّ مَخْلُوقٍ عِزَّةً وَحُكْمًا) أي أنَّ اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو القاهر فوق كل شيء، فالمخلوقات تحت سلطانه، وتحت تصرُّفه، وله القوَّة والغلبة، يتصرَّف فيها كما يشاء، ولا يخرج أحد عن سلطان الله، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٨].

وقوله: (وَوَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾).

أي: أن اللَّه تعالىٰ وسع برحمته جميع المخلوقات، وفي هذا إثباتٌ لصفة الرحمة العامَّة، ولصفة العلم، فوسع علمُه المخلوقات كلَّها، واستدلَّ المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالآية الكريمة علىٰ إثبات كمال علم اللَّه صفةً ذاتيَّةً، فإنه تعالىٰ يعلم ما قبلهم وما بعدهم، ويعلم ما هم عليه الآن وما سوف يعملونه فيما بعد، لا يخفىٰ عليه شيء من شئون خلقه، والخلق لا يحيطون باللَّه.

قوله: (مَوْصُوفٌ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ، وَعَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ).

أي: أنَّ اللَّه تعالىٰ لا يُوصف إلا بما وصف به نفسه في كتابه، وعلىٰ لسان رسوله ﷺ، نؤمن بذلك ونصفه بها: كصفة العلوِّ، وصفة الاستواء، وصفة

اليدين، وصفة النزول، وصفة المحبَّة، وما أشبه ذلك مما ورد ذكرُه في كتاب الله، وثبت في صحيح سنَّة رسول الله ﷺ بأحاديث متواترة أو أحاديث آحاد صحيحة؛ لأن الله تعالىٰ هو أعلم بنفسه، ورسولَه أعلم الخلق به.

❋ ❋ ❋

وصفاته، كقوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝٧﴾ [طه: ٥ - ٧]؛ حيث دلَّت الآية الأولىٰ علىٰ إثبات اسم من أسماء اللَّه تعالىٰ وهو اسم ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾، كما دلَّت علىٰ إثبات صفة استواء اللَّه علىٰ عرشه، كما جاء ذلك في سبعة مواضع من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، والاستواء علىٰ العرش من صفات الأفعال التي يفعلها متىٰ شاء، وهو استواءٌ يليق بجلاله وكماله، ونحن نثبته للَّه كما أثبته لنفسه عز شأنُه، ولا نعلم كيفيته كسائر صفاته التي لا يعلم كيفيتها إلا هو جَلَّوَعَلَا، كما نثبت صفة العلوِّ، وأنها صفة ذات لا تنفك عنه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وقد نفت صفتي العلو والاستواء فرق هالكة كالجهمية، والمعتزلة، وأما الأشاعرة والكلابية والماتريدية فقد أوَّلوهما تأويلًا باطلًا مذمومًا، فخالفوا النصوص وعقيدة السلف الصالح رَحِمَهُمُٱللَّهُ.

ودلَّت الآية الثانية علىٰ إثبات صفة ملك اللَّه لكل مخلوقاته، وكمال قدرته عليها.

ودلَّت الآية الثالثة علىٰ إثبات صفة العلم، وأنه بكلِّ شيء محيط، لا يعزب عنه مثقالُ ذرة في الأرض ولا في السماء، كما سيأتي قريبًا.

قوله: (أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) أي: أن اللَّه أحاط علمُه بجميع مخلوقاته من كان في السماء ومن كان في الأرض، واستدلَّ المؤلِّف علىٰ ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ۝١١٠﴾ [طه: ١١٠]، حيث

قول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ، أَوْ صَحَّ عَنِ الْمُصْطَفَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مِنْ صِفَاتِ الرَّحْمَنِ وَجَبَ الْإِيمَانُ بِهِ، وَتَلَقِّيهِ بِالتَّسْلِيمِ وَالْقَبُولِ، وَتَرْكُ التَّعَرُّضِ لَهُ بِالرَّدِّ وَالتَّأْوِيلِ وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ، وَمَا أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ وَجَبَ إِثْبَاتُهُ لَفْظًا، وَتَرْكُ التَّعَرُّضِ لِمَعْنَاهُ، وَنَرُدُّ عِلْمَهُ إِلَىٰ قَائِلِهِ، وَنَجْعَلُ عُهْدَتَهُ عَلَىٰ نَاقِلِهِ، اتِّبَاعًا لِطَرِيقِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، الَّذِينَ أَثْنَىٰ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [سورة آل عمران: ٧]، وَقَالَ فِي ذَمِّ مُبْتَغِي التَّأْوِيلِ لِمُتَشَابِهِ تَنْزِيلِهِ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ [سورة آل عمران: ٧]، فَجَعَلَ ابْتِغَاءَ التَّأْوِيلِ عَلَامَةً عَلَىٰ الزَّيْغِ، وَقَرَنَهُ بِابْتِغَاءِ الْفِتْنَةِ فِي الذَّمِّ، ثُمَّ حَجَبَهُمْ عَمَّا أَمَّلُوهُ، وَقَطَعَ أَطْمَاعَهُمْ عَمَّا قَصَدُوهُ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ [سورة آل عمران: ٧].

۞ الشـــرح:

قوله: (وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ، أَوْ صَحَّ عَنِ الْمُصْطَفَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مِنْ صِفَاتِ الرَّحْمَنِ وَجَبَ الْإِيمَانُ بِهِ، وَتَلَقِّيهِ بِالتَّسْلِيمِ وَالْقَبُولِ، وَتَرْكُ التَّعَرُّضِ لَهُ بِالرَّدِّ وَالتَّأْوِيلِ وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ): هذا بيانٌ لمنهج أهل السنة والجماعة السلف الصالح، وهو أنَّ كلَّ ما ذُكر في القرآن أو صحَّ عن نبيِّ الله محمَّدٍ ﷺ

من أسماء اللَّه عَزَّوَجَلَّ وصفاته وجب الإيمان به على الوجه الصحيح، وبالفهم الصحيح، ووجب التسليم له، والقبول به، على منهج الطائفة الناجية المنصورة، وطريقتهم معلومة: وهي أنهم آمنوا بجميع الأسماء الثابتة للَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الواردة في القرآن الكريم وفي السنة المطهَّرة، إيمانًا بصفات اللَّه الذاتية والفعلية بدون تحريف، ولا تمثيل، ولا تأويل، ولا تعطيل، بل كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، ولا يجوز ردُّ شيء من نصوص الصفات، لا من الكتاب، ولا من السنة، بل القبول والتسليم لكل نصٍّ ورد في الكتاب والسنة في هذا الباب العظيم؛ وهو باب معرفة الله بذاته وأسمائه وصفاته، فمن ردَّ شيئًا من ذلك؛ فهو من الفرق الهالكة كالجهمية والمعتزلة ونحوهما، كما أن أهل السنة والجماعة لم يسلكوا مسلك التأويل المذموم الذي سلكه كل معطِّل ومُؤَوِّل، ولم يسلكوا مسلك أهل التشبيه والتمثيل، أي: لم يشبِّهوا اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بخلقه في أسمائه وصفاته، فاللَه عَزَّوَجَلَّ لا شبيه له، ولا نظير له، ولا ندَّ له، ولا كفؤ له؛ كما في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [سورة الإخلاص].

والذي ينبغي أن يُعلم أن جميع نصوص الصفات في الكتاب والسنة ليست من قبيل المتشابه الذي لا يعلم معناه إلا الله، وإنَّما هي من قبيل

المحكم، فهي معلومة الألفاظ، ومعلومة المعاني؛ يعلمها السائرون علىٰ نهج أهل السنة والجماعة، فليس فيها شيء مشكل، وإنما كلُّها واضحة الألفاظ والمعاني، فمثلًا إذا قرأ القارئ قوله تعالىٰ: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] هذه آية محكمة؛ لأنَّها واضحة اللفظ والمعنىٰ، أما اللفظ فمعنىٰ الاستواء في لغة العرب العلوُّ والارتفاع والاستقرار، ومعناه في الشرع أي: أن الله عَزَّوَجَلَّ استوىٰ علىٰ عرشه استواءً حقيقيًّا يليق بعظمته وجلاله، وهذا هو المعنىٰ المراد، لا تشبيه، ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تأويل، ولا تعطيل، بل القول في هذه الصفة الفعلية كالقول في سائر الصفات الذاتية، بحيث نثبت لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جميع الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة علىٰ الوجه المراد الصحيح، بدون تأويل مذموم، ولا تشبيه لله بشيء من مخلوقاته، ولا تعطيل لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن أسمائه وصفاته وأفعاله.

تَنْبِيهٌ: قول المؤلِّف: (**وَمَا أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ؛ وَجَبَ إِثْبَاتُهُ لَفْظًا، وَتَرْكُ التَّعَرُّضِ لِمَعْنَاهُ، وَنَرُدُّ عِلْمَهُ إِلَىٰ قَائِلِهِ، وَنَجْعَلُ عُهْدَتَهُ عَلَىٰ نَاقِلِهِ**) هذا القول غير مسلَّم للمؤلِّف، بل - كما أسلفت - ليس في نصوص الأسماء والصفات شيء مشكل، بل هي واضحة الألفاظ والمعاني، فأما الإيمان باللفظ دون المعنىٰ؛ فهذا من منهج الفرق الهالكة؛ وهو ما يسمَّىٰ: بالتفويض عند العلماء، والمفوِّضة في باب الأسماء والصفات يثبتون اللفظ

من نصوص الصفات، ويتركون التعرُّض للمعنىٰ، وهذا خطأ، بل كما قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (من شرِّ أنواع الإلحاد)[٥]؛ لأنه يلزم عليه لوازم خطيرة، فمثلًا إذا قال القائل: نؤمن باللفظ، ونترك التعرُّض للمعنىٰ؛ لزم أن النبيَّ ﷺ لم يبيِّن نصوص الصفات للأمة، بل علَّمهم ألفاظها وترك المعاني؛ وهذا مستحيل، لا يليق بجناب الرسول ﷺ، كما يلزم من ذلك أنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ما علِمها، وهذا مستحيل أيضًا، فليس في نصوص الصفات في الكتاب والسنة شيء مشكل لا يعرف معناه أبدًا، وإنما ألفاظها معلومة ومعروفة، ومعانيها كذلك، ولا يوجد شيء من الأسماء والصفات معناه غير معلوم لطالبي العلم، وإنما جهل معاني الأسماء والصفات أو بعضها الفرقُ الهالكة كالجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة، والمفوضة، والواقفة، ونحوهم من الفرق التي خالفت أهل السنة والجماعة في هذا الباب.

وقوله: (**اتِّبَاعًا لِطَرِيقِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، الَّذِينَ أَثْنَىٰ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ:** ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [آل عمران: ٧]).

هذا القول غير مسلَّم أيضًا للمؤلِّف؛ لما يُشعر به من المخالفة لمعتقد أهل السنة والجماعة، ولأن طريق الراسخين في العلم: الإيمان بأسماء الله

---

(٥) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٠٥ - الكتب العلمية).

وصفاته وأفعاله، وفهم ألفاظها ومعانيها علىٰ الوجه اللائق بعظمة الله وجلاله، ولم تكن من قبيل المشكل، وإنَّما هي من قبيل الواضح البيِّن، وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] بيانٌ بأن من لهم قدم راسخة في العلم الشرعي؛ فإن عقيدتهم في باب المحكم والمتشابه الإيمان بهما جميعًا، ولا يردُّون شيئًا من ذلك، بل يردُّون المتشابه إلىٰ المحكم، ويؤمنون بأن كُلًّا من المحكم والمتشابه من عند اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾، وهم يتركون التعرُّض لما لا يمكنهم الوصول إلىٰ معرفته والإحاطة به، كالعلم بكيفية ذات الله، وكيفية صفاته.

قوله: (وَقَالَ فِي ذَمِّ مُبْتَغِي التَّأْوِيلِ لِمُتَشَابِهِ تَنْزِيلِهِ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ...﴾) إلخ هذا ذمٌّ لمن مالوا وانحرفوا عن الحق في هذا الباب؛ باتباعهم لأهوائهم الضالَّة، فإنهم أصحاب فتنة للناس عن دينهم، وفي الآية الكريمة ذمَّهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ ليحذر الناس منهم ومن اتباع طريقتهم؛ لأنهم يصرفون اللفظ عن ظاهره الراجح.

ثم المتشابه من حيث هو ينقسم إلىٰ قسمين: تشابه عام، وتشابه خاص.

فالتشابه العام يطلق علىٰ القرآن الكريم كلِّه بأنه متشابه؛ بدليل قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الزمر: ٢٣].

ومعنىٰ **قول اللَّهِ** عَزَّوَجَلَّ: ﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾ أي يشبه بعضه بعضًا في الجودة

والكمال، ويصدِّق بعضه بعضًا، وهذا هو التشابه العام، فلا تضادَّ ولا تناقض.

والنوع الثاني تشابه خاص: والمتشابه الخاصُّ هو الذي قد يُشكل علىٰ بعض أهل العلم، ويكون واضحًا عند البعض الآخر؛ لأن اللَّه قال: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ۝٧٦﴾ [يوسف: ٧٦]، فهو تشابه نسبيٌّ يعلمه بعض العلماء، ويُشكل علىٰ البعض الآخر، ومن أشكل عليه شيء رجع إلىٰ قول أهل العلم حتىٰ يتبيَّن له الأمر.

ونوع من المتشابه الخاص استأثر اللَّه بعلم معناه، وهو ما يتعلَّق بكيفية ذات اللَّه، وكيفية صفاته، وكيفية ما أخبر عنه في المعاد؛ فهذا من المتشابه الذي استأثر اللَّه بعلم كيفيته، ونهايةُ علم المخلوق به هو ما دلَّت عليه النصوص الصريحة من الكتاب العزيز والسنة المطهَّرة، فمثلًا: الإيمان بصفات اللَّه بألفاظها ومعانيها حقٌّ، ومعلوم لأهل العلم، وأما كيفيتها فلا يعلمها إلا الله الموصوف بها، والناس لا يعلمون كيفية ذات الله وصفاته، بل يفوِّضون علمها إلىٰ الله؛ وهذا هو معتقد الطائفة الناجية المنصورة. وهكذا يقال في كيفية ما أخبر الله عنه في اليوم الآخر، يجب الإيمان به بألفاظه ومعانيه، وأما الكيفية فلا يعلمها إلا الله، فمثلًا: ذكر الله في الآخرة الميزان، والصراط، والحوض، وغيرها مما يجب الإيمان به وتفويض علم كيفيته إلىٰ الله، فطريقة أهل العلم الراسخين فيه يعلمون أن القرآن كله من عند الله، وأنه حق محكمُه ومتشابهُه، وأن الحق لا يتناقض ولا يختلف،

ويردُّون المتشابه إلىٰ المحكم، فيؤمنون بذلك كلِّه، لذا أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عنهم بقوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾. وأما أهل الزيغ فهم الذين يتَّبعون المتشابه للتضليل ولمخالفة أهل السنة والجماعة، فإنهم يستدلُّون بالمتشابه علىٰ مقالاتهم الباطلة وآرائهم الزائفة، ولا يردُّونه إلىٰ المحكم من القرآن، فهم الذين وصفهم الله بقوله الحق: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ﴾ أي: ليوقعوا الفتنة بين الناس، ليفتنوا من قلَّ نصيبُهم من العلم، وهذا من أسباب زيغ القلوب، نسأل اللَّه العافية والسلامة، ولا يزال دعاة الضلال في كل زمان يشبِّهون علىٰ الناس ويلبِّسون عليهم؛ من أجل أن يصرفوهم عن المعتقد الصحيح والمنهج السليم، إلىٰ معتقداتهم الباطلة ومناهجهم المنحرفة؛ كدعاة القبورية، والصوفية، والرافضة، والجهمية الملحدة، والمعتزلة، والقدرية، والجبرية، وغيرها من دعوات الضلال، ولكن الله تعالىٰ بيَّن أمرهم، وأنهم يتَّبعون المتشابه من الآيات التي يعلمها الله، ويعلمها من شاء من عباده العلماء الراسخين في العلم، فهم الذين يُرجع إليهم ويُؤخذ عنهم دينُ الله.

❁❁❁

قول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»، وَ«وَأَنَّ اللَّهَ يُرَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَمَا أَشْبَهَ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ: نُؤْمِنُ بِهَا، وَنُصَدِّقُ بِهَا، لَا كَيْفَ، وَلَا مَعْنَىٰ، وَلَا نَرُدُّ شَيْئًا مِنْهَا، وَنَعْلَمُ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ حَقٌّ، وَلَا نَرُدُّ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا نَصِفُ اللَّهَ بِأَكْثَرَ مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، بِلَا حَدٍّ وَلَا غَايَةٍ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورىٰ: ١١]، وَنَقُولُ كَمَا قَالَ، وَنَصِفُهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، لَا نَتَعَدَّىٰ ذَلِكَ، وَلَا يَبْلُغُهُ وَصْفُ الْوَاصِفِينَ، نُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ كُلِّهِ مُحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ، وَلَا نُزِيلُ عَنْهُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ لِشَنَاعَةٍ شُنِّعَتْ، وَلَا نَتَعَدَّىٰ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ، وَلَا نَعْلَمُ كَيْفَ كُنْهِ ذَلِكَ إِلَّا بِتَصْدِيقِ الرَّسُولِ ﷺ وَتَثْبِيتِ الْقُرْآنِ)[٦]. نِهَايَةِ كَلَامِ ابْنِ حَنْبَلٍ.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (آمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِمَا جَاءَ عَنِ اللَّهِ، عَلَىٰ مُرَادِ اللَّهِ، وَآمَنْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ، وَبِمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَىٰ مُرَادِ رَسُولِ اللَّهِ).

وَعَلَىٰ هَذَا دَرَجَ السَّلَفُ وَأَئِمَّةُ الْخَلَفِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَىٰ

---

(٦) رواه الخلال في السنة ومن طريقه المصنف في ذم التأويل (٢٢ رقم ٣٣) بأخصر مما هنا. وروىٰ ابن بطة في الإبانة الكبرىٰ (٣/ ٣٢٦ برقم ٢٥٢) بعضه.

الْإِقْرَارِ وَالْإِمْرَارِ وَالْإِثْبَاتِ لِمَا وَرَدَ مِنَ الصِّفَاتِ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِتَأْوِيلِهِ).

الشــــرح:

ثم شرع المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذكر بعض الآثار عن الأئمَّة المعروفين بمكانتهم وفضلهم؛ ومنهم إمامُ أهل السنة في زمانه أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (فِي قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ) أي: في بيان قول الرسول ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا**» إشارة إلىٰ حديث النزول الذي رواه البخاري ومسلم، وهو حديث جليل القدر بلغ مبلغ التواتر، دلَّ علىٰ إثبات النزول لِلَّهِ تعالىٰ كلَّ ليلة في الثلث الأخير، والنزول صفة من صفات اللَّهِ الفعليَّة، ونزوله حقيقة يليق بعظمته وجلاله، لا تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، وثبت أنه سبحانه ينادي عباده فيقول: «**هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأُجِيبَهُ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ حَتَّىٰ يَبْرُقَ الْفَجْرُ**» أخرجه البخاري ومسلم(٧).

فصفة النزول وصفة المجيء وغيرهما من الصفات الفعلية الثابتة بالنصوص من القرآن والسنة، مع نفي تشبيه الله بصفات المخلوقين، وإنما

(٧) رواه البخاري برقم (١١٤٥)، ومسلم برقم (٧٥٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الاشتراك بين صفة الخالق العظيم والمخلوق الضعيف؛ فهو في اللفظ فقط، وأما في المعاني والحقائق فصفات الخالق تليق بعظمته وجلاله، وصفات المخلوق تليق بحاله.

وقوله: (**وَأَنَّ اللَّهَ يُرَىٰ فِي الْقِيَامَةِ**) إشارة إلىٰ نصوص الكتاب والسنة الدالَّة علىٰ إثبات رؤية المؤمنين ربَّهم في الآخرة، فمن القرآن الكريم قولُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، الأولىٰ من النضارة؛ وهي الحسن والبهاء، والثانية من النظر بعينَي البصر، ومن السنة الكريمة قولُه ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**». متفق عليه[٨]، ومعناه تشبيه الرؤية بالرؤية، لا المرئي بالمرئيِّ.

قوله: (**وَمَا أَشْبَهَ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ نُؤْمِنُ بِهَا وَنُصَدِّقُ بِهَا، لَا كَيْفَ وَلَا مَعْنَىٰ**) أي: وكل ما جاء في الكتاب والسنة في إثبات نصوص صفات الله الذاتية والفعلية فهو حق، يجب الإيمان به علىٰ طريقة السلف الصالح، لا علىٰ طريقة أهل التأويل المذموم، والتحريف الباطل، والتعطيل، والتشبيه، والتمثيل، بل الإيمان بما جاء من نصوص الكتاب والسنة واجب، وهكذا التصديق بها بلا كيف؛ لأن الكيفية لا يعلمها إلا الله عَزَّوَجَلَّ، أي: كيفية ذات الله وأسمائه وصفاته، وما كان من أمر الآخرة لا يعلم كيفية ذلك

---

(٨) رواه البخاري برقم (٤٨٥١)، ومسلم برقم (٦٣٣)، من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فهي من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله، وليس مراده رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه لا كيفية لصفاته، بل لصفاته تعالىٰ كيفية، ولكنها غير معلومة لنا.

قوله: (**وَلَا مَعْنًىٰ**) الذي يريده الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ من قوله: (**ولَا مَعْنًىٰ**) أي: لا معنىٰ فاسد بالتأويل المذموم الذي يخالف الحق الظاهر من النصوص، وهذا مقتضىٰ نفي الإمام أحمد، وأما المعاني التي جاءت لها نصوص الصفات فهي ثابتة ومعلومة لطلاب العلم السائرين علىٰ معتقد ومنهج أهل السنة والجماعة، فلا يتوجه إليها نفي الإمام أحمد المفهوم من قوله: (**لا معنىٰ**).

وقوله: (**وَلَا نَرُدُّ شَيْئًا مِنْهَا، وَنَعْلَمُ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ حَقٌّ، وَلَا نَرُدُّ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ**) أي كما أن من هدي السلف أنهم يؤمنون بالنصوص جميعًا، وكذلك لا يردُّون منها شيئًا أبدًا، لا من ألفاظها، ولا من معانيها، ويعتقدون جازمين أن ما جاء به الرسول ﷺ من أصول الدين وفروعه وحقوقه ومكمِّلاته وفضائله ومعانيه حق، يجب الإيمان به، والعمل بمقتضاه، ولا يجوز أن يُردَّ علىٰ الرسول ﷺ مما جاء به أبدًا، لا في باب الأسماء والصفات، ولا في غير ذلك من أبواب العلم.

قوله: (**وَلَا نَصِفُ اللَّهَ بِأَكْثَرَ مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، بِلَا حَدٍّ وَلَا غَايَةٍ؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾** [الشورىٰ: ١١]) أي: إن نصوص

الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة هي التي يجب أن نصف اللَّه بما جاء فيها، فإن باب الأسماء والصفات توقيفيٌّ يتوقف إثباتها علىٰ ما جاء في الشرع، أي لا يجوز أن نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه مما لم تدلَّ عليه النصوص؛ لأنه لا مجال للاجتهاد في هذا الباب - باب الأسماء والصفات -، بل نصف اللَّه بما وصف به نفسه، ووصفه به رسولُه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مما جاء في الكتاب والسنة، ثم نقف عند ذلك، فلا نزيد ولا ننقص.

وقول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بِلَا حَدٍّ وَلَا غَايَةٍ)** أي من غير إحاطة به وبصفاته سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، إذ لا يحيط بعلمها إلا هو سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، كما في قوله الحق: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥]، فنحن نؤمن بها من غير تكييف، ولا تشبيه، ولا تمثيل، ولا تعطيل، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧٤﴾ [سورة النحل: ٧٤]؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ هو المحيط بكل شيء، ولا يحيط به شيء من مخلوقاته، كما وصف نفسه بالأوَّليَّة المطلقة، والآخرية المطلقة؛ قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ﴾ [سورة الحديد: ٣].

وفي الدعاء المأثور: **«اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ**

دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ، وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ»(٩).

وفي قول اللَّه تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ الردُّ علىٰ المشبِّهة الممثِّلة الذين شبَّهوا اللَّه بخلقه في ذاته وأسمائه وصفاته. وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ الردُّ علىٰ المعطِّلة الذين نفوا عن اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أسماءه وصفاته جميعًا، أو نفوا صفاته دون أسمائه، أو نفوا بعض صفاته؛ لأن التعطيل ينقسم إلىٰ قسمين:

- تعطيل كُلِّي: هو تعطيل الجهمية والمعتزلة.
- وتعطيل جزئيٌّ: وهو إثبات بعض الصفات، ونفي بعضها؛ فالنفي تعطيل.

قوله: (وَنَقُولُ كَمَا قَالَ) أي: كما قال الله عَزَّوَجَلَّ عن نفسه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ...﴾ الآية [سورة البقرة، من الآية: ٢٥٥].

فأثبت لنفسه اسمه الحيَّ القيُّوم، وهما دالان علىٰ إثبات صفة الحياة والقيُّومية، فاللَّه عَزَّوَجَلَّ قائم بنفسه، مقيم لغيره، وهكذا نَصفُ اللَّه بما وصف به نفسه في القرآن، أو وصفه رسولُه ﷺ بالفهم الصحيح، كما سبق ذلك مرارًا.

قوله: (وَنَقُولُ كَمَا قَالَ، وَنَصِفُهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، لَا نَتَعَدَّىٰ ذَلِكَ، وَلَا

---

(٩) أخرجه مسلم برقم (٢٧١٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

يَبْلُغُهُ وَصْفُ الْوَاصِفِينَ). أي أن هذا الباب توقيفي لا مجال للاجتهاد فيه، ولا للأقيسة، ولا لضرب الأمثال له، لذا فإن السلف يقفون مع النصوص بالفهم الصحيح، ولا يتعدَّون ذلك أبدًا، فيصفون اللَّه بما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسولُه ﷺ، لا يتعدَّون الكتاب العزيز والسنة الكريمة، وينزِّهونه عن مشابهة المخلوقين تنزيهًا بلا تعطيل، وهذه قاعدة عظيمة في هذا الباب العظيم: «تنزيه بلا تعطيل، وإثبات بلا تمثيل» مأخوذة من قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾، وهذا هو التوسُّط الذي عليه أهلُ السنة والجماعة.

قوله: (وَلَا يَبْلُغُهُ وَصْفُ الْوَاصِفِينَ) أي لا يحيط أحدٌ من خلقه بكيفيَّة ذاته وصفاته سبحانه، بل هو المحيط بذلك، وبكلِّ شيء من مخلوقاته، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠]، وكما قال سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾ [فصلت: ٥٤].

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة قولُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (نُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ كُلِّهِ مُحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ، وَلَا نُزِيلُ عَنْهُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ لِشَنَاعَةٍ شُنِّعَتْ)، وَالإِيمَانُ بِالْقُرْآنِ بِأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ، وَأَنَّ مِنْهُ الْمُحْكَمَ وَالْمُتَشَابِهَ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ﴾ [آل عمران: ٧].

وقول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (نُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ كُلِّهِ مُحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ) بيانٌ

لمعتقد أهل السنة والجماعة في القرآن العظيم، وأن منه المحكم الواضح المعنىٰ، ومنه المتشابه الذي لا يعلمه إلا الراسخون في العلم، وأن من المتشابه ما لا يعلمه إلا اللَّه كما سبق قريبًا، كما أنهم يؤمنون بأن القرآن كلام اللَّه حروفُه وألفاظُه ومعانيه، كل ذلك كلامه سبحانه، مُنزلٌ غيرُ مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، لا كما قالت المعتزلة: إنه مخلوق كغيره من المخلوقات، ولا كما قالت الأشاعرة ومن وافقهم من الكُلَّابية والماتوريدية: إن القرآن معنًىٰ قائم بذات اللَّه، بلا حرف، ولا صوت. وكلام هذه الفِرق مخالفٌ لمعتقد أهل السنة والجماعة في القرآن العظيم الذي هو كلام اللَّه، كما سبق بيانُه.

وقوله: (**وَلَا نُزِيلُ عَنْهُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ**) أي: إن أهل السنة والجماعة لا ينفون عن اللَّه صفة واحدة، لا من الصفات الذاتية، ولا من الصفات الفعليَّة، بل يُثبتُون جميع الصفات علىٰ الوجه اللائق بعظمة اللَّه وجلاله.

وقوله: (**لشناعة شُنِّعت**) : الشناعة هي: الفظاعة والقبح ، والمعنىٰ: أن أهل السنة والجماعة لا يعطلون الباري من صفاته، ولا يشبهونه بخلقه بسبب إطلاق أهل التعطيل وأهل التشبيه أوصاف السوء القبيحة عليهم كالمجسمة والحشوية والنوابت ونحو ذلك.

قوله: (**وَلَا نَتَعَدَّىٰ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ**) أي: في بيان أسماء الله الحسنىٰ وصفاته الذاتية والفعلية، بل الواجب الوقوف مع نصوص الصفات؛ آيات وأحاديث، ولا

نأتي بشيء من قِبَل أنفسنا، فنكون بذلك قد زدنا في الصفات ما ليس منها.

وقوله: (**وَلَا نَعْلَمُ كَيْفَ كُنْهُ ذَلِكَ إِلَّا بِتَصْدِيقِ الرَّسُولِ ﷺ وَتَثْبِيتِ الْقُرْآنِ**) أي: لا يستطيع أحدٌ من الخلق أن يعرف كيفية ذات اللَّه وكيفية صفاته، وكيفية المتشابه الذي لا يعلمه إلا اللَّه؛ إذ لا سبيل لأحد إلىٰ ذلك، ولكن الواجب الإيمان بما جاء عن اللَّه في كتابه العزيز، وبما جاء عن الرسول ﷺ في السنة المطهَّرة، فنصدِّق به ونثبته علىٰ الأساس الذي أثبته اللَّه عَزَّوَجَلَّ في كتابه لنفسه، وأثبته له النبيُّ ﷺ في سنَّته.

وقول المؤلف: (**قَالَ الشَّافِعِيُّ: آمَنْتُ بِاللَّهِ... إلخ**): الشافعيُّ إمام من أئمة العلم، وأحد الأئمَّة الأربعة، وصاحب المذهب المعروف، والإيمان باللَّه عَزَّوَجَلَّ يتضمَّن الإيمان بوجوده، والإيمان بألوهيته، والإيمان بربوبيته، والإيمان بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ، فأما الإيمان بوجود اللَّه فهو الاعتقاد الجازم بأن اللَّه موجودٌ؛ بدليل الشرع والعقل والفطرة، كما أخبر عن نفسه بقوله الحق: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وبقوله: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣﴾ [الحديد: ٣]. وأما الإيمان بربوبيته فمعناه الإقرار الجازم والاعتقاد الحق بأنَّ اللَّهَ رَبُّ كل شيء، ومليكه، وخالقه، ورازقه، والمتصرِّف في ملكوت السموات والأرض بما يشاء ويريد، لا مُعقِّب لحكمه، ولا رادَّ لقضائه، ولا مانع لما أعطىٰ، ولا معطي لما منع، يفعل ما يشاء ويختار، وهو الوليُّ الحميد. وأما

الإيمان بألوهيته فمعناه الاعتقاد الجازم بأن اللَّه هو المستحقُّ وحده دون سواه لكل عبادة مالية أو بدنية؛ والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبُّه اللَّه ويرضاه من الأعمال الظاهرة والباطنة، وكلُّها للَّه، فمن صرف منها شيئًا لغير اللَّه فقد أشرك باللَّه - جلَّ في علاه -. وأما الإيمان بأسمائه وصفاته سبحانه فمعناه: التصديقُ الجازم، والإقرار التامُّ بأن لِلَّهِ الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ اللائقة بعظمته وجلاله، بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تأويل ولا تحريف ولا تعطيل، كما قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ⑪﴾ [الشورىٰ: ١١]. وقد استند هذا الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا القول علىٰ قول اللَّه تعالىٰ: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ...﴾ الآية [البقرة: ١٣٦]، وعلىٰ قول النبيِّ ﷺ لمن سأله عن الإسلام، فقال له: «**قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ**»(١٠).

وعليه، فكلام الإمام الشافعي كلام شاملٌ لما يجب الإيمان به، ممَّا جاء به النبيُّ ﷺ من كتاب وسنة، وما فيهما من جليل الأحكام، وفي مقدِّمة الأحكام التي يجب القيام بها، والعمل بمقتضاها الإيمان باللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والإيمان بما جاء عن اللَّه، وهذا لفظ عامٌّ يتناول كل ما أوحاه اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلىٰ نبيِّنا ﷺ من الكتاب والسنة؛ إذ إنَّ القرآن منزَّلٌ من عند اللَّه تكلَّم به قولًا، وأنزله وحيًا، وبلَّغه النبيُّ ﷺ كاملًا. والسنَّة الكريمة جاءت من عند اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فهي

---

(١٠) رواه أحمد (١٥٤١٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٣٨)، عن سفيان بن عبد الله الثقفي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الوحي الثاني، أوحاه اللَّه إلىٰ النبيِّ ﷺ؛ لأنه هو الواسطة بينه وبين الخلق أجمعين.

وقوله: **(عَلَىٰ مُرَادِ اللَّهِ)** أي: علىٰ الوجه الذي أراده اللَّه من عباده الذين كلَّفهم بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والوقوف عند حدوده، وأداء فرائضه، واتِّقاء محارمه. ومن أمور الشرع العظيمة الإيمان بأسماء اللَّه وصفاته، فيجب الإيمان بها علىٰ الوجه الذي دلَّت عليه نصوص الكتاب والسنة.

وقول الشافعيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَآمَنْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ)** فيه وجوب الإقرار الجازم برسالة محمد بن عبد اللَّه ﷺ الذي أرسله اللَّه بشيرًا ونذيرًا للعالمين كافَّةً، يجب علىٰ الأمة من بعد بعثته طاعتُه فيما أَمر، وتصديقُه فيما أخبر، واجتنابُ ما عنه نهىٰ وزجر، وألَّا يُعبد اللَّهُ إلا بما شرع، ولا إيمان باللَّه عَزَّوَجَلَّ إلا بالإيمان برسول اللَّه ﷺ؛ قال تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [سورة النساء: ٨٠]، وقال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَىٰ اللَّهَ، وَمَنْ يُطِعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي**». متفق عليه(١١)، كما أن شهادة «أن لا إله إلا اللَّه» لا تنفع قائلها إلا ومعها شهادةُ أن محمدًا رسول الله، وهما ركن واحد، شهادتان متلازمتان لا تنفعك إحداهما إلا مقرونةً بأختها.

وقوله: **(وَعَلَىٰ مُرَادِ رَسُولِ اللَّهِ)** أي: علىٰ الوجه الذي أراده رسولُ اللَّهِ ﷺ

---

(١١) أخرجه البخاري برقم (٢٩٥٧)، ومسلم برقم (١٨٣٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

من أمَّته؛ إذ إنَّ طاعة رسول اللَّه طاعة للَّه، ومن ذلك نصوصُ الصفات تُثبَت كما أراد اللَّه وأراد رسولُه ﷺ حقيقة علىٰ الوجه اللَّائق بعظمة اللَّه وجلاله، بلا تشبيه ولا تمثيل، ولا تحريف ولا تعطيل، وأما معرفة كيفية الصفات فنكِل ذلك إلىٰ اللَّه الموصوف بها؛ لأنه أعلم بنفسه سبحانه، وقد سبق بيانُ ذلك.

فهذه جملٌ قليلة الألفاظ، كثيرة المعاني، تتضمَّن الالتزام والاعتصام بدين الإسلام كلِّه، وينبغي لكلِّ مسلم ومسلمة أن يتأسَّىٰ ويقتدي بالإمام الشافعي فيها، ويتعلَّم مدلولها وما دلَّت عليه من المعاني، ويعتقد ذلك، ويعمل به؛ لموافقتها لنصوص الكتاب والسنة.

وقوله: (**وَعَلَىٰ هَذَا دَرَجَ السَّلَفُ وَأَئِمَّةُ الْخَلَفِ** رضي الله عنهم **كُلُّهُمْ عَلَىٰ الْإِقْرَارِ وَالْإِمْرَارِ وَالْإِثْبَاتِ... إلخ**): المقصود أن السلف الصالح وأتباعَهم - رضي الله عنهم ورحمهم -، وهم الطائفة الناجية المنصورة أهلُ السنة والجماعة، السابقُ منهم واللاحق كلُّهم متَّفقون علىٰ الوقف مع نصوص الكتاب والسنة في موضوع أسماء اللَّه وصفاته، وإثبات معانيها، والعمل بها، وإمرارها كما جاءت بلفظها ومعناها، فلا يشبِّهون ولا يمثِّلون ولا يحرِّفون ولا يعطِّلون، وليس معنىٰ الإمرار نمرُّ لفظها ونفوِّض معانيها إلىٰ اللَّه! كما هو مذهب المفوِّضة الذين يقولون: نمرُّ لفظها ونكِل معناها

إلىٰ اللَّه. وهذا خطأ عظيم، وقعت فيه المفوِّضة؛ لأنَّ من فوَّض فقد شبَّه وعطَّل، وعلىٰ ذلك الجميع من السلف الصالح أهل القرون المفضَّلة، ومن أتباع السلف بعدهم، طريقتهم واحدة لا يختلفون؛ لأن الأصول لا يجوز الخلاف فيها، وأهل العقيدة السلفية عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات لا خلاف بينهم في ذلك؛ لأنهم اقتفوا النبيَّ ﷺ واتخذوه قدوة.

فكل ما ورد من نصوص الكتاب والسنة في إثبات الأسماء والصفات أثبتوه علىٰ الوجه اللائق بعظمته وجلاله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل نقول بما علَّمنا اللَّه به سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورىٰ: ١١].

❋ ❋ ❋

قول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَدْ أُمِرْنَا بِالِاقْتِفَاءِ لِآثَارِهِمْ، وَالِاهْتِدَاءِ بِمَنَارِهِمْ، وَحُذِّرْنَا الْمُحْدَثَاتِ، وَأُخْبِرْنَا أَنَّهَا مِنَ الضَّلَالَاتِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(١٢).

❁ **الشــرح:**

أي أن أولئك الأئمة الصالحين يقتدىٰ بهم، ويتَّبع ما أُثر عنهم من علوم نافعة، ويُستنار بها، ونَسير حيث ساروا، ونقف حيث وقفوا؛ لأنهم اقتفوا أمر نبيِّهم ﷺ، وكما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وهؤلاء هم سلف هذه الأمة طريقتهم واحدة، وأدلَّتهم واحدة، متَّفقة ومؤتلفة، كما ورد في حديث العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي أورده المؤلِّف، وهو حديث عظيم، فيه أمر بلزوم سنَّة النبيِّ ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريراته، وترغيب في العمل بها، وكذا سنَّة خلفائه الراشدين، حيث زكَّاهم النبيُّ ﷺ، وأمر بأخذ السنَّة عنهم، ولزوم طريقتهم، والسير علىٰ نهجهم، ومن ذلك لزوم طريقتهم في باب الأسماء والصفات،

(١٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ (٤/ ١٢٦)، وَأَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ برقم (٤٦٠٧)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ (٢٦٧٦)، وابن ماجه في سننه برقم (٤٢ و٤٤)، عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال الترمذي: «حسن صحيح». وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ في صحيح الجامع (٤٣١٤).

كما في الحديث تحذيرٌ من البدعة، وترهيب منها، والبدعة هي: كلُّ ما أضيف إلىٰ الشريعة ولم يثبت عليه دليل. ولا يُستهان بشيء من البدع، بل كلُّها ضلال، سواء كانت قولية، أو فعلية، ظاهرة، أو باطنة، ولكنها تتفاوت في الضلال، فمنها ما يتعلَّق بالعقيدة، كبدع المعطِّلة، ومنها غير ذلك مما يتعلَّق بالشعائر التعبُّدية، وكل البدع يجب الحذر والتحذير منها؛ لشدة ضررها وخطر لوازمها والتمرغ في جحيمها.

❃❃❃

وقول المؤلف: (وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا؛ فَقَدْ كُفِيتُمْ).

الشـــرح:

هذا القول أخرجه الدارمي في سننه(١٣)، وأخرج عنه معناه، وفيه زيادة: (**وَعَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ**)(١٤)، فيه بيانٌ صريح من هذا الصحابي الجليل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للناس بوجوب اتباع ما جاء به النبيُّ ﷺ من كتاب وسنة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الأعراف: ٣]، وفي قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**وَلَا تَبْتَدِعُوا**) أي: لا تحدثوا أمرًا في دين اللَّه ليس منه؛ فإن في ذلك أعظم الخطر، كما قال ﷺ: «**وَإِيَّاكُمْ**

(١٣) سنن الدارمي (١/ ٨٠ برقم ٢٠٥).

(١٤) سنن الدارمي (١/ ٦٦ رقم ١٤٢ و١٤٣)، ورواه معمر في الجامع (١١/ ٢٥٢ رقم ٢٠٤٦٥ - مصنف عبد الرزاق)، ومحمد بن نصر المروزي في السنة (٢٩ - ٣٠ برقم ٨٥)، وابن وضاح في «ما جاء في البدع» (٦٤ رقم ٦٠)، وابن بطة في الإبانة (١/ ٣٢٣، ٣٣٢، ٣٣٣ رقم ١٦٨، ١٦٩، ١٨٩، ١٩٢)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٨٧ رقم ١٠٨) وغيرهم، من طريقين عن أبي قلابة عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مختصرًا ومطوّلًا.

ورواه البيهقي في المدخل إلىٰ السنن (٢٧٧ رقم ٣٨٨)، من طريق أبي إدريس الخولاني عن عبد الله نحوه موصولًا.

وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»، والبدع خروج عن طريق رسول اللَّه ﷺ، وتقدَّر بقدرها، إذ منها ما هو كفر، ومنها ما هو فسق، ومنها ما هو من صغائر الذنوب، كما هو معروف بالاستقراء والتتبُّع.

❋❋❋

وقول المؤلف: (وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَلَامًا بِمَعْنَاهُ: «قِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ، فَإِنَّهُمْ عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا، وَبِبَصَرٍ نَافِذٍ كَفُّوا، وَلَهُمْ عَلَىٰ كَشْفِهَا كَانُوا أَقْوَىٰ، وَبِالْفَضْلِ لَوْ كَانَ فِيهَا أَحْرَىٰ، فَلِئِنْ قُلْتُمْ: حَدَثَ بَعْدَهُمْ، فَمَا أَحْدَثَهُ إِلَّا مَنْ خَالَفَ هَدْيَهُمْ، وَرَغِبَ عَنْ سُنَّتِهِمْ، وَلَقَدْ وَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي، وَتَكَلَّمُوا مِنْهُ بِمَا يَكْفِي، فَمَا فَوْقَهُمْ مُحَسِّرٌ، وَمَا دُونَهُمْ مُقَصِّرٌ، لَقَدْ قَصَّرَ عَنْهُمْ قَوْمٌ فَجَفَوْا وَتَجَاوَزَهُمْ آخَرُونَ فَغَلَوْا، وَإِنَّهُمْ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَىٰ هُدًىٰ مُسْتَقِيمٍ»[(١٥)]).

❁ **الشـــرح:**

ثم أورد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفيه تأكيد لما سبق بيانه من وجوب الاتباع، والحذر من الابتداع، ومراده بالقوم: هم أصحاب النبيِّ ﷺ، ومَنْ كان علىٰ هديهم ولم يبدِّل تبديلًا،

(١٥) أخرجه ابن وضاح في «ما جاء في البدع» (٧٢ رقم ٧٤)، والفريابي في القدر (٢٤٩ رقم ٤٤٦)، وعبد الله بن أحمد في الزهد (٢٩٦ - زوائده)، وأبو داود في السنن (٤/ ٢٠٢ رقم ٤٦١٢)، ورواه الآجري في الشريعة (٢/ ٩٣٠ - ٩٣٣ رقم ٥٢٩ - ٥٣٠)، وابن بطة في الإبانة (١/ ٣٢١ رقم ١٦٣، ١٦٤) و(٢/ ٢٣١ رقم ١٨٣٣ - القدر)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٣٣٨)، من طريقين عن عمر بن عبد العزيز نحوه، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٦١٢).

حيث قال: (قِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ). ووصفهم بأنهم أصحاب علم وبصيرة، ورثوا علمهم من نبيِّهم ﷺ، فقد سكتوا عن أشياء فلم يخوضوا فيها؛ لأن في الخوض فيها خطرًا، فما تركوه تركوه عن علم، وما فعلوه فهو عن علم كذلك، فقيَّدوا أنفسهم بفعل هدي نبيِّهم ﷺ، والوقوف عن الضلالات والبدع وجميع وسائلها، ثم وصفهم بالبصيرة النافذة فقال: (وَبِبَصَرٍ نَافِذٍ كَفُّوا) أي كفُّوا عمَّا لا يحلُّ لهم من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة؛ لأنهم عرفوا خطر الخوض فيها، ولو أنهم رأوا بأن الخوض فيها له فائدة لتكلَّموا؛ فإنهم علماء وفصحاء، ولهم قدرة علىٰ إظهار الخير ونشره أعظم ممن جاء بعدهم، لأنهم تلقَّوا علومهم عن النبيِّ ﷺ، وتلقَّاه التابعون بالفهم الصحيح، فلو كان في الابتداع خير لسبقونا إليه، ولكنهم علموا أنه لا مصلحة في الخوض فيها فكفُّوا عنها.

وقوله: (وَبِالْفَضْلِ لَوْ كَانَ فِيهَا أَحْرَىٰ) أي لو كان في المحدثات فضلٌ ما تركوه، بل كانوا يتسابقون إلىٰ التحلِّي به، ولكن الخير بحذافيره في الالتزام بالسنة، والشر في الابتداع كما بيَّن النبيُّ ﷺ ذلك في حديث العرباض السابق وغيره.

وفي قول الخليفة الراشد: (فَلَئِنْ قُلْتُمْ: حَدَثَ بَعْدَهُمْ... إِلَىٰ آخِرِهِ) أي إنَّ كل ما جاء من المحدثات بعد أصحاب النبيِّ ﷺ والقرون المفضَّلة مما أحدثه الخلف الذين خالفوا هدي السلف في العقيدة وغيرها، وتركوا السنة التي تمسَّك بها السلف وأتباعُهم؛ فإنما سبب ذلك قلَّة علمهم، فلا يجوز لأحد أن يُتابع الخلف علىٰ بدعهم، ويترك سنَّة السلف التي كان عليها

الرسول الكريم ﷺ وصحابته الأخيار الذين ميَّزوا بين ما يفيد وينفع وبين ما يضرُّ، بما أعطاهم اللَّه من علم نافع وحكمة شرعية عقيدة ومنهجًا وسلوكًا.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَقَدْ وَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي، وَتَكَلَّمُوا مِنْهُ بِمَا يَكْفِي، فَمَا فَوْقَهُمْ مُحَسِّرٌ، وَمَا دُونَهُمْ مُقَصِّرٌ، لَقَدْ قَصَّرَ عَنْهُمْ قَوْمٌ فَجَفَوْا، وَتَجَاوَزَهُمْ آخَرُونَ فَغَلَوْا، وَإِنَّهُمْ فِيمَا دُونَ ذَلِكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ**) أي أن السلف قد بيَّنوا ما الحاجة إليه داعية، وأوضحوا للأمَّة الحق الذي يجب أن يتبَّع في باب أسماء اللَّه وصفاته، بمقتضىٰ نصوص الكتاب والسنة، فأثبتوا للَّه صفات الكمال، ونزَّهوه تعالىٰ عن صفات النقص، وكذا بيَّنوا ما يجب أن يعتقد في جميع أمور الدين، فما تركوا ما يجب بيانه حتىٰ يكونوا مقصِّرين، ولا هم غلوا وتوسَّعوا وتجرَّءوا في ذلك وتجاوزوا الحدود كغيرهم من أهل الكلام والمنطق حتىٰ صاروا أهل غلوٍّ وتنطُّع، بل هم وسط بين الغالي والجافي عمومًا، وفي باب الأسماء والصفات وسط بين أهل التعطيل وأهل التشبيه والتمثيل، ومقصوده رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن السلف من الصحابة والأئمة والتابعين لهم بإحسان رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ أهلُ توسُّط، فلم يتركوا هذه العلوم جانبًا، بل تكلَّموا فيها بما يكفي، وقالوا بما يشفي، ولم يخوضوا فيها دون علم، بل وقفوا عند ما يجب الوقوف عنده، فحسبنا أن نسير حيث ساروا، ونقف حيث وقفوا؛ فهذا هو الصراط المستقيم الذي يجب اتِّباعه، والذي يُفضي بصاحبه إلىٰ الحق المبين، ومِن ثَمَّ إلىٰ جنَّات النعيم.

وقول المؤلف: (وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَمْرٍو الْأَوْزَاعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «عَلَيْكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ، وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ، وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الرِّجَالِ، وَإِنْ زَخْرَفُوهَا لَكَ بِالْقَوْلِ»[16]).

❁ الشـــرح:

الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ إمام الشام في الزهد والفقه، وإمام في عقيدة السلف ومنهجهم، وأحد من حفظ اللَّه بهم السنة، وفي هذا الأثر عنه حث على اتباع آثار من سبق من الصحابة والتابعين لهم من أئمة العلم؛ لأنهم أهل قول سديد واتباع رشيد، وأما من عداهم من أصحاب الرأي؛ فاحذر أيُّها المسلم آراءهم واجتنبْها، ولو لقيت هجرانًا منهم وشططًا منهم عليك، ولا تغترَّ بزخرفة أقوالهم، ومدح منهجهم؛ فهم يزيِّنون باطلهم بعبارات مشوِّقة، وكلمات منمَّقة، ليغرُّوا الناس بباطلهم وأنهم هم أهل النجاة ومن خالفهم فهو من أهل الهلاك، فالحذر! الحذر! من أهل الكلام والتصوُّف والتعطيل ونحوهم ممن خالفوا أهل السنة والجماعة، واعلم أن سبيل معرفة طريق الحق من طرق الباطل هو العلم الشرعي الذي لا يُحرزه إلا من جلس في حلقاته عند الراسخين فيه.

(١٦) أخرجه الآجري في الشريعة (١/ ٤٤٥ رقم ١٢٧)، والخطيب في شرف أصحاب الحديث (٧)، والهروي في ذم الكلام (١/ ١٣٠ رقم ١١٦)، والبيهقي في المدخل إلى السنن (١٩٩ رقم ٢٣٣)، وصحح إسناده الألباني في «مختصر العلوِّ» ص(١٣٨).

وقول المؤلف: (وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْأَذْرَمِيُّ(١٧) لِرَجُلٍ تَكَلَّمَ بِبِدْعَةٍ وَدَعَا النَّاسَ إِلَيْهَا: «هَلْ عَلِمَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ أَوْ لَمْ يَعْلَمُوهَا؟ قَالَ: لَمْ يَعْلَمُوهَا، قَالَ: فَشَيْءٌ لَمْ يَعْلَمْهُ هَؤُلَاءِ عَلِمْتَهُ أَنْتَ؟ قَالَ الرَّجُلُ: فَإِنِّي أَقُولُ: قَدْ عَلِمُوهَا. قَالَ: أَفَوَسِعَهُمْ أَنْ لَا يَتَكَلَّمُوا بِهِ؟ وَلَا يَدْعُوا النَّاسَ إِلَيْهِ أَمْ لَمْ يَسَعْهُمْ؟ قَالَ: بَلَىٰ وَسِعَهُمْ، قَالَ: فَشَيْءٌ وَسِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَخُلَفَاءَهُ لَا يَسَعُكَ أَنْتَ؟! فَانْقَطَعَ الرَّجُلُ! فَقَالَ الْخَلِيفَةُ وَكَانَ حَاضِرًا: لَا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ لَمْ يَسَعْهُ مَا وَسِعَهُمْ!»(١٨)، وَهَكَذَا مَنْ

---

(١٧) اسمه الصحيح: عبد الله بن محمد بن إسحاق الأذرمي، كما سيأتي في تخريج المناظرة، وترجمة هذا الشيخ الأذرمي.

(١٨) روىٰ هذه المناظرة المؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه التوَّابين ص(١٩٤ - ١٩٩) عن ابن الجوزي، وهي في مناقب الإمام أحمد له: ص(٤٧٦ - ٤٨٠) - بإسناده عن الخطيب البغدادي، وهي في تاريخ بغداد (١٠/ ٧٥ - ٧٨)، قال: أخبرنا بقصَّته محمد بن أحمد بن رزق، أخبرنا أحمد بن سندي الحداد، قال: قرئ علىٰ أحمد بن الممتنع وأنا أسمع، قيل له: أخبركم صالح بن علي بن يعقوب الهاشمي قال: «حضرت المهتدي بالله أمير المؤمنين - رحمة الله عليه -...» فذكر قصَّة طويلة مشتملة علىٰ ذكر المناظرة.
ومن طريق الخطيب رواها الذهبي في السير (١١/ ٣١٣ - ٣١٦).

ورواها الآجري في الشريعة (١/ ٥٤٠ - ٥٤٧ برقم ١٩٣)، وابنُ بطَّة في الإبانة الكبرىٰ - الرد علىٰ الجهمية - (٢/ ٢٦٩ - ٢٧٤ رقم ٤٥٢ - الراية) عن الآجري وغيره، من طريق أحمد بن الممتنع عن صالح بن يعقوب الهاشمي بالقصَّة مثل رواية الخطيب. =

لَمْ يَسَعْهُ مَا وَسِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَالْأَئِمَّةَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَالرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ مِنْ تِلَاوَةِ آيَاتِ الصِّفَاتِ، وَقِرَاءَةِ أَخْبَارِهَا،

=

قلت: قد عقد الإمام ابنُ بطَّة رَحِمَهُ اللَّهُ للقصَّة بابًا خاصًّا، فقال (٢/ ٢٦٩): «ذكر محنة رجل من أهل أَذَنة بحضرة الواثق، ورجوع الواثق عن مذهبه».

وقال الخطيب بعد روايته القصَّة (١٠/ ٧٨): «أخبرنا أبو بكر عبد الله بن حمويه بن أبزك الهمذاني بها، قال: سمعت أبا بكر أحمد بن عبد الرحمن الشيرازي الحافظ، وحدثنا بحديث الشيخ الأذني ومناظرته مع ابن أبي دؤاد بحضرة الواثق، فقال الشيخ: هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد بن إسحاق الأذرمي». وبهذا جزم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في الفتاوىٰ الكبرىٰ (٦/ ٤٥٦).

وقال الحافظ ابن حجر في التهذيب (٦/ ٥): «القصة مشهورة حكاها المسعودي وغيره، ورواها السياري في الألقاب بإسناد له، قال فيه: «إن الشيخ المناظر هو الأذرمي هذا»، ورواها ابن النجار في ترجمة محمد بن الجهم السامي، فذكر أن الرجل من أهل أذنة، وأنه كان مؤدِّبًا بها».

وصاحب هذه المناظرة هو عبد الله بن محمد بن إسحاق الجزري أبو عبد الرحمن، الأذرمي بفتح الهمزة وسكون المعجمة وفتح الراء أو بالمد وفتح ثم سكون، الموصلي، ثقة من العاشرة، (د س). تقريب (ص٣٢٠ت٣٥٧٦/ عوامة).

قلت: روىٰ له أبو داود والنسائي وغيرهما، ووثَّقه أبو حاتم الرازي والنسائي وابنُ حبَّان.

انظر: تسمية شيوخ النسائي (ص٨٤ رقم ١٤٤)، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٥/ ١٦١ رقم ٧٤٣)، والثقات لابن حبان (٨/ ٣٦١)، وتاريخ بغداد للخطيب (١٠/ ٧٤)، والأنساب للسمعاني (١/ ٦١ - ٦٢)، وتهذيب التهذيب لابن حجر (٦/ ٤ - ٥).

وَإِمْرَارِهَا كَمَا جَاءَتْ فَلَا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ).

❁ **الشــرح:**

وهذا قول من أقوال أهل العلم بالحديث والأثر فيه دلالة على الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع، وفيه مناظرةٌ لأهل البدع وإقامة الحجة عليهم، وقد قيل بأن المناظرة في شأن القرآن الكريم، والفتنة التي حصلت بسبب من قال من أهل البدع بأن القرآن مخلوق، فصارت هذه المناظرة التي انتهت بنصرة الحق وأن القرآن كلام اللَّه منزل غير مخلوق، وأن الخير كل الخير في اتباع ما جاء به النبيُّ ﷺ، وأَخَذَه عنه أصحابُه الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون المهديُّون، وأن الواجب العضُّ على ذلك بالنواجذ، فإنهم هم الذين تلقَّوا العلم عن رسول اللَّهِ ﷺ وحفظوه ونشروه وعلَّموه مَن بعدهم، ولم يكتموا شيئًا، فكل علم شرعي فهو من طريقهم، بخلاف أهل البدع والضلال؛ فإنهم ليس لهم مصدر شرعيٌّ على ما ينشرونه من بدعهم وضلالاتهم التي خالفوا بها معتقد ومنهج أهل السنة والجماعة في كل زمان ومكان، وفي الأثر أيضًا بيانٌ بأن الدين قد اكتمل، وأنه ما مات النبيُّ ﷺ إلا بعد أن أكمل اللَّه لنا الدين؛ لقول اللَّه تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [سورة المائدة: ٣]، ولقول النبيِّ ﷺ: «**تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا**

كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ»(١٩)، وفي الأثر ما يدل علىٰ أن كل صاحب باطل من بدعة أو غيرها لا بد أن يكون مآله الانقطاع عن الجواب، وفي هذه المناظرة نفيُ المبتدع علم النبيِّ ﷺ وأصحابه؛ وهذا انتقاص منه! ثم تراجع المبتدع وأثبت علمهم، وأنه وسعهم السكوت وعدم الكلام في الأمور التي خاض فيها أهل البدع، فألزمه الأذرميُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذلك، وأن الواجب الوقوف علىٰ ما وقف عليه السلف من تلاوة آيات الصفات وفهم معانيها، وإمرارها كما جاءت له، وعدم الخوض في الأمور المحدثة.

❁ ❁ ❁

---

(١٩) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦) وابن ماجه برقم (٤٣)، عن العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **فَمِمَّا جَاءَ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ قَوْلُ اللَّهِ** عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [سورة الرحمن: ٢٧]، **وَقَوْلُهُ** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [سورة المائدة: ٦٤]، **وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ إِخْبَارًا عَنْ عِيسَىٰ** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **أَنَّهُ قَالَ**: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [سورة المائدة: ١١٦]، **وَقَوْلُهُ**: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [سورة الفجر: ٢٢]، **وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ**: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [سورة البقرة: ٢١٠]، **وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ**: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [سورة المائدة: ١١٩]، **وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ**: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [سورة المائدة: ٥٤]، **وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ فِي الْكُفَّارِ**: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة الفتح: ٦]، **وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ**: ﴿ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ [سورة محمد: ٢٨]، **وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ**: ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [سورة التوبة: ٤٦].

❁ الشـــرح:

في هذه الآيات الكريمات بيانٌ لعدد من صفات اللَّه الذاتيَّة والفعليَّة، وهي كأمثلة أوردها المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والصفات الذاتيَّة هي التي تكون ملازمةً للَّه تعالىٰ، لا تنفكُّ ولا تنفصل في أيِّ وقت من الأوقات، وأمَّا الصفات الفعليَّة فهي التي يتَّصف بها إذا شاء كيف شاء، ولا تكون ملازمة للذات دائمًا، والصفات الذاتيَّة الفعليَّة متلازمة، أي كل صفة فعليَّة فهي ذاتيَّة كما قرَّر ذلك أهل السنة، وقد أورد المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ نموذجًا من القسمين، ففي

قول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ﴾ إثبات صفة الوجه للَّه تعالىٰ، صفةً ذاتيَّةً حقيقةً علىٰ الوجه اللائق بعظمته وجلاله، وأن للَّه وجهًا لا تشبهه الوجوه، وفي قوله تعالىٰ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ إثبات صفة اليدين للَّه تعالىٰ، وهما يدان اثنتان، صفة ذاتيَّة حقيقة علىٰ الوجه اللائق بعظمة اللَّه وجلاله.

وهنا مسألة: وهي أنه قد ورد في الآيات لفظ اليدين تارة بالإفراد، كقوله تعالىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [الملك: ١]، وتارة بالجمع، كقوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا﴾ [يس: ٧١]، وتارة بالتثنية، كما في قوله تعالىٰ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، ولا تعارض بينها؛ فلفظ الإفراد في قوله: ﴿بِيَدِهِ﴾ يعمُّ؛ لأنه مضاف، فيتناول الواحد والاثنين والجمع. ولفظ الجمع في قوله: ﴿أَيۡدِينَآ﴾ الضمير «نا» للمعظِّم نفسه، فالمراد به التعظيم، أو جاء بلفظ الجمع لتتمَّ المشاكلة بين المضاف والمضاف إليه، وأما لفظ التثنية فهو المقصود في بيان إثبات يدين اثنتين للَّه جَلَّوَعَلَا؛ فلا يبقىٰ تعارض بين النصوص الثلاثة.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ إثبات صفة النفس للَّه تعالىٰ، صفةً ذاتيَّة حقيقةً تليق بعظمة اللَّه وجلاله، وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ وقوله تعالىٰ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ إثبات صفة المجيء للَّه تعالىٰ يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده، صفةً فعليَّة حقيقة، يجب إثباتها للَّه علىٰ الوجه اللائق بعظمته وجلاله، وأنه يجيء كيف شاء، لا

يشبه مجيء المخلوق الذي فيه انتقال من مكان إلىٰ مكان، وفراغ مكان وشغل مكان؛ لأن اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي ما السموات السبع والأرضون السبع في كفِّه إلا كخردلة في كفِّ أحدنا.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ إثبات صفة الرضا للَّه تعالىٰ، صفةً فعليَّة حقيقة، تليق بعظمة اللَّه وجلاله، فهو يرضىٰ عن عباده المؤمنين وعن أعمالهم. وفي قوله تعالىٰ: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ إثبات صفة المحبَّة للَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، صفةً فعليَّة حقيقة، تليق بعظمة اللَّه وجلاله، يحبُّ عباده المؤمنين، ويحبُّ الأعمال الصالحة ويرضاها ويثيب عليها، ولا يجوز تأويلُها بلازمها، كما أوَّلها أهل التأويل الباطل بالثواب والإكرام، أو إرادة الثواب والإكرام، كما في الآية وجوبُ محبَّة العبد لربِّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأن المؤمنين يحبُّون ربَّهم؛ لأنهم يعبدونه طوعًا واختيارًا ورغبًا ورهبًا، بل ويحبُّونه أعظم من محبَّتهم لأنفسهم ولكل محبوب، وهذا فرض من الفروض، وعلامة محبَّة العبد لربِّه أن تراه مقيمًا علىٰ طاعته، مبتعدًا عن معصيته، راغبًا فيما رغَّبه فيه، يخاف مما خوَّفه منه، قال تعالىٰ في وصف المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ إثبات صفة الغضب للَّه تعالىٰ، صفة فعليَّة حقيقة تليق بعظمة اللَّه وجلاله، وأن اللَّه يغضب إذا ما انتُهكت محارمه، وهي صفة مدح في حقِّه سبحانه، لا صفة ذمٍّ، وفي قوله تعالىٰ: ﴿ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ﴾

إثبات صفة السخط للَّه، صفة فعليَّةً حقيقة تليق بعظمة الله وجلاله، وأنه يسخط علىٰ أهل الإجرام والإفساد في الأرض، ويعاقبهم علىٰ ذلك بقدر جرائمهم في ميزان الشرع الشريف، وفي قوله تعالىٰ: ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾ إثبات صفة الكُره من اللَّه تعالىٰ لمن يستحقُّه ممن أتىٰ بأسبابه، صفة فعليَّةً حقيقة تليق بعظمة اللَّه وجلاله، وكل هذه الصفات يجب إثباتُها للَّه تعالىٰ علىٰ الوجه اللائق بعظمته وجلاله، ويجب إثباتُها للَّه من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وكل هذه الصفات ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح وأتباعهم السائرين علىٰ معتقدهم ومنهجهم.

❊ ❊ ❊

قول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَمِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا»[٢٠]، وَقَوْلُهُ: «يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتَ لَهُ صَبْوَةٌ»[٢١]، وَقَوْلُهُ: «يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَىٰ رَجُلَيْنِ قَتَلَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ ثُمَّ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ»[٢٢]، فَهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ مِمَّا صَحَّ سَنَدُهُ وَعُدِّلَتْ رُوَاتُهُ نُؤْمِنُ بِهِ، وَلَا نَرُدُّهُ، وَلَا نَجْحَدُهُ، وَلَا نَتَأَوَّلُهُ بِتَأْوِيلٍ يُخَالِفُ ظَاهِرَهُ، وَلَا نُشَبِّهُهُ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلَا بِسِمَاتِ الْمُحْدَثِينَ، وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾، وَكُلُّ مَا تُخَيِّلَ فِي الذِّهْنِ، أَوْ خَطَرَ بِالْبَالِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ بِخِلَافِهِ.

الشـــرح:

لما ذكر المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما سبق نصوصًا من القرآن علىٰ إثبات صفات اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الذاتيَّة والفعليَّة، أتبع ذلك بنصوص من السنة الدالَّة

---

(٢٠) سبق تخريجه.

(٢١) رواه أحمد (٤/ ١٥١)، والحارث بن أبي أسامة (٢/ ٩٨٦ رقم ١٠٩٩ - زوائد الهيثمي)، وأبو يعلىٰ (٣/ ٢٨٨ رقم ١٧٤٩)، والطبراني في الكبير (١٧/ ٣٠٩ رقم ٨٥٣).

ورواه ابن المبارك في الزهد (١١٨ رقم ٣٤٩) عن رشدين بن سعد بإسناده عن عقبة موقوفًا. ورجح الموقوف أبو حاتم في العلل (١٨٤٣).

(٢٢) رواه البخاري برقم (٢٨٢٦)، ومسلم برقم (١٨٩٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

علىٰ إثبات صفات للَّه جَلَّوَعَلَا، ففي قوله ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**»، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، فيه دليل علىٰ إثبات النزول للَّه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ كلَّ ليلة إلىٰ السماء الدنيا نزولًا حقيقة يليق بعظمته وجلاله، وهو من الصفات الفعليَّة، نثبته، لكن لا نعلم كيفيَّة نزوله، وليس نزوله تعالىٰ كنزول المخلوق، ولا نئوِّله بتأويل أهل الضلال الذين يقولون بنزول أمره، أو رحمته أو ملائكته، وقد أجمع السلف علىٰ إثبات هذه الصفة. وفي قوله ﷺ: «**يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ**» رواه أحمد عن عقبة بن عامر مرفوعًا، وفي إسناده ابنُ لهيعة، دليل علىٰ إثبات صفة العجب للَّه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ حقيقة، صفة فعليَّة تليق بعظمة اللَّه وجلاله.

وفي قوله ﷺ: «**يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَىٰ رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ، يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ الْقَاتِلِ فَيُسْلِمُ، فَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُسْتَشْهَدُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، دليل علىٰ إثبات صفة الضحك للَّه تعالىٰ، صفة فعليَّة حقيقة يليق بعظمته وجلاله.

وكل هذه الصفات يجب إثباتها للَّه تعالىٰ علىٰ الوجه اللائق بعظمته وجلاله، بلا تأويل، ولا تحريف، ولا تعطيل، ولا تشبيه، ولا تمثيل، ولا تكييف، وقد أجمع السلف الصالح وأتباعهم علىٰ إثباتها للَّه تعالىٰ بدون ردٍّ لشيء منها، ولا تأويل فاسد لها.

وقول المؤلف: (فَهٰذَا وَمَا أَشْبَهَهُ مِمَّا صَحَّ سَنَدُهُ وَعُدِّلَتْ رُوَاتُهُ نُؤْمِنُ بِهِ، وَلَا نَرُدُّهُ، وَلَا نَجْحَدُهُ، وَلَا نَتَأَوَّلُهُ بِتَأْوِيلٍ يُخَالِفُ ظَاهِرَهُ، وَلَا نُشَبِّهُهُ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلَا بِسِمَاتِ الْمُحْدَثِينَ، وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾).

قوله: (هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ): إشارة إلىٰ ما تقدَّم من النصوص الصحيحة، وما أشبه ذلك مما ورد بأسانيد ورواة ثقات، يجب الإيمان به وإثبات ما دلَّت عليه حقيقةً، ولا يجوز ردُّه، ولا جحده، ولا تأويله بتأويل يخالف ظاهره، كما يجب تنزيه اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن مشابهة صفات المخلوقين المحدثين وسماتهم، ونعلم علم اليقين أن اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا شبيه له ولا مثيل؛ لقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: ١١].

وقول المؤلف: (وَكُلُّ مَا تُخَيِّلَ فِي الذِّهْنِ، أَوْ خَطَرَ بِالْبَالِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ بِخِلَافِهِ) أي أن كل ما تصوَّره المتصوِّر أو تخيَّله في ذهنه أو خطر بباله في ذات اللَّه وأسمائه وصفاته من الهيئات والكيفيات أو الصفات؛ فإن اللَّه تعالىٰ بخلاف ذلك؛ لأنه ليس كمثله شيء، فلا تستطيع العقول له تمثيلًا، ولا تصويرًا، ولأن الخلائق في الدنيا لم يروا ربَّهم، ولم يؤمروا بالتفكُّر في كيفية ذاته، أو كيفية صفاته، وإنما أُمِروا بالإيمان الحق بذات اللَّه، وأسمائه، وصفاته، كما ورد في النصوص علىٰ الوجه اللائق بعظمته وجلاله، فلا يجوز التفكُّر في ذات اللَّه، ولا يجوز التصوُّر، وإتعاب الذهن لكيفية الصفات؛ لأن هذا يخالف منهج السلف؛ قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [سورة طه: ١١٠].

وقول المؤلف: (وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]، وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «رَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ»[٢٣]، وَقَالَ لِلْجَارِيَةِ: «أَيْنَ اللَّهُ؟ قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ» رَوَاهُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْأَئِمَّةِ[٢٤]، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِحُصَيْنٍ: «كَمْ إِلَهًا تَعْبُدُ؟ قَالَ: سَبْعَةً، سِتَّةً فِي الْأَرْضِ، وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ. قَالَ: مَنْ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟ قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «فَاتْرُكِ السِّتَّةَ، وَاعْبُدِ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، وَأَنَا أُعَلِّمُكَ دَعْوَتَيْنِ، فَأَسْلَمَ، وَعَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي»[٢٥]).

۞ الشـــرح:

إيراد المؤلِّف لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ لإثبات صفة الاستواء للَّه علىٰ عرشه، حقيقةً، ومعناه: العلُوُّ، والارتفاع، والاستقرار، علىٰ

(٢٣) أخرجه أبو داود برقم (٣٨٩٢)، من حديث أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢٤) أخرجه مالك (٢/ ٧٧٦ رقم ١٤٦٨)، وأحمد (٥/ ٤٤٧، ٤٤٨)، ومسلم برقم (٥٣٧)، وأبو داود برقم (٩٣٠) و(٣٢٨٢)، والنسائي برقم (١٢١٨).

(٢٥) أخرجه الترمذي برقم (٣٤٨٣)، من حديث عمران بن حصين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. قال الترمذي: هذا حديث غريب، وقد روي هذا الحديث عن عمران بن حصين من غير هذا الوجه.

الوجه الذي يليق بعظمة اللَّه وجلاله، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وقد فسَّره أهل التعطيل بالاستيلاء، وهو تفسير باطل؛ يزعمون أنهم يريدون تنزيه اللَّه عن مشابهة الخلق، إلىٰ غير ذلك من التكلُّفات التي ليس لها مصدر من كتاب أو سنة، وتخالف ما عليه أهلُ السنة والجماعة، وهذا يدلُّ علىٰ جهلهم بشرع اللَّه، وعلىٰ رأس ذلك تصحيحُ الاعتقاد، ومعرفةُ اللَّه بأسمائه وصفاته، وما له من الحقوق والواجبات، والعرشُ هو أعلىٰ المخلوقات وأكبرُها، وَصَفه اللَّه بأنه عظيم، وأنه كريم، وأنه مجيد، وهو غير الكرسيِّ الوارد ذكرُه في النصوص الثابتة، الذي فسَّره ابنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بقوله: «الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَالْعَرْشُ لَا يَقْدُرُ أَحَدٌ قَدْرَهُ». رواه الحاكم في مستدركه(٢٦).

وأما قوله تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة الملك: ١٦]، فهو دليلٌ علىٰ

---

(٢٦) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣١٠ رقم ٣١١٦)، ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٢٥١)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٣٠١ رقم ٥٨٦) و(٢/ ٤٥٤ رقم ١٠٢٠)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٤٨ - ٢٤٩ رقم ١٥٤ و١٥٥ و١٥٦)، والدارمي في الرد علىٰ المريسي (١/ ٣٩٩ - ٤٠٠)، ومحمد ابن أبي شيبة في العرش (٧٩ رقم ٦١)، والدارقطني في الصفات (٥٠ رقم ٣٦ و٣٧)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٨٢ - ٥٨٤ رقم ٢١٦ و٢١٧)، والهروي في الأربعين (٥٦ رقم ١٤)، قال الحاكم: «صحيح علىٰ شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «مختصر العلو» (ص ١٠٢).

إثبات صفة العلُوِّ للَّه تعالىٰ، وهي من الصفات الذاتيَّة الثابتة للَّه تعالىٰ بالكتاب والسنة وإجماع السلف، وهو علُوٌّ حقيقيٌّ يليق بعظمة اللَّه وجلاله. وأنواعُ العلو ثلاثة: علوُّ ذات، وعلوُّ الشأن والعظمة، وعلوُّ القهر والغلبة، ومعنىٰ علوِّ الذات: أي أن اللَّه تعالىٰ بذاته فوق جميع مخلوقاته، ودليلُه الآية السابقة، وما أورده المؤلف من حديث: «**رَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ**»، وحديث الجارية، وفيه: قَوْلُهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أَيْنَ اللَّهُ؟** قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ»، وحديث حُصين الخزاعي، وفيه: «**وَاعْبُدِ الَّذِي فِي السَّمَاءِ**»؛ وكلُّها تدلُّ علىٰ إثبات هذه الصفة العظيمة صفة العلوِّ للَّه تعالىٰ من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، ولفظ: «السَّمَاءِ» في النصوص السابقة من الآية والأحاديث إذا أريد به العلوُّ فهي علىٰ بابها، أي في العلوِّ، ولا يحيط باللَّه عَزَّوَجَلَّ شيءٌ من مخلوقاته، بل هو الظاهر فوق كل شيء، وإن أريد بالسماء الأجرامُ المعروفة المشاهَدة؛ فإن «في» بمعنىٰ «علىٰ»، والمعنىٰ: «ءأمنتم من علىٰ السماء».

وفي حديث حُصَين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ نهيٌ عن عبادة غير اللَّه من الأصنام والأوثان، وأن ذلك شرك يجب الحذر منه، ويجب التوجُّه إلىٰ اللَّه وحده بكل عبادة، كما في الحديث بيانٌ لدعاء عظيم من جوامع الكلم الشامل لجلب المصالح ودفع المضارِّ؛ لأن من ألهمه اللَّه رشده ووقاه شرَّ نفسه فقد تحقَّق له الخير بحذافيره، وانتفىٰ عنه الشرُّ بحذافيره، ويروىٰ أن بعض

السلف كان يطوف بالكعبة فلا يزيد في الدعاء عن هاتين الجملتين، فقيل له في ذلك فقال: إذا ألهمني اللَّه رشدي ووقاني شرَّ نفسي؛ فقد جمع لي الخير بحذافيره.

❋❋❋

وقول المؤلف: (وَفِيمَا نُقِلَ مِنْ عَلَامَاتِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ: «أَنَّهُمْ يَسْجُدُونَ بِالْأَرْضِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ إِلَهَهُمْ فِي السَّمَاءِ»[٢٧]، وَرَوَىٰ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ كَذَا وَكَذَا»، وَذَكَرَ الْخَبَرَ إِلَىٰ قَوْلِهِ: «وَفَوْقَ ذَلِكَ الْعَرْشُ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ ذَلِكَ»[٢٨]، فَهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ مِمَّا أَجْمَعَ السَّلَفُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ عَلَىٰ نَقْلِهِ وَقَبُولِهِ، وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لِرَدِّهِ، وَلَا تَأْوِيلِهِ، وَلَا تَشْبِيهِهِ، وَلَا تَمْثِيلِهِ).

* **الشـــرح:**

ما نقله المؤلِّف عن بعض الكتب المتقدِّمة، وأن من علامات النبيِّ ﷺ وأصحابه يسجدون في الأرض ويزعمون أن إلههم في السماء نقلٌ غير صحيح، ولنفرض أنه نقل صحيح، غير أنه لا يُعوَّل عليه، ولأن الإيمان بعلوِّ اللَّه، والسجود له لا يختصَّان بهذه الأمة، وكذلك التعبير بالزعم لا يليق بهذه الأمة وبثبوت هذه الصفة.

---

(٢٧) رواه المصنف في «إثبات صفة العلوِّ» (ص٥١ - ٥٢)، ومن طريقه الذهبي في العلوِّ (٣٤ رقم ٦٠ - أشرف)، من طريق الأموي في «المغازي»، عن عدي بن عميرة الكندي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الذهبي: غريب.

(٢٨) أخرجه أبو داود برقم (٤٧٢٣)، ورواه الترمذي برقم (٣٣٢٠)، وابن ماجه برقم (١٩٣)، من حديث العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأما ما رواه أبو داود من الحديث ففيه إثباتُ علوِّ اللَّه علىٰ عرشه، وهو أعلىٰ المخلوقات، وأكبرها.

وفي الجملة الأخيرة تقريرٌ لمنهج السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ علىٰ قبول نصوص الصفات، وإثبات معانيها للَّه تعالىٰ علىٰ الوجه اللائق بعظمته وجلاله، بلا تحريف، ولا تعطيل، ولا تشبيه، ولا تمثيل، ولا تكييف.

❁ ❁ ❁

وقول المؤلف: (سُئِلَ الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فَقِيلَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ كَيْفَ اسْتَوَىٰ؟ فَقَالَ: الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، ثُمَّ أَمَرَ بِالرَّجُلِ فَأُخْرِجَ[(٢٩)]).

❁ الشــرح:

هذا الأثر عن الإمام مالك إمام دار الهجرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو من أئمَّة العلم الذين يُثبتون للَّه عَزَّوَجَلَّ صفات الكمال بدون تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تكييف، فقد فسَّر الآية الكريمة بما أجاب به السائل، بقوله: «الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ» يعني: معلوم لجميع المسلمين أن اللَّه استوىٰ علىٰ عرشه استواءً يليق بعظمته وجلاله، وبقوله: «الْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ» أي: أن كيفية استواء اللَّه علىٰ عرشه لا يعقله أحدٌ من البشر؛ لأنهم لم يروا ربَّهم، ولم يروا العرش، ولأن اللَّه أعظم وأجلُّ من أن تدرك العقول كيفية صفاته، أو تحيط الأبصار بذاته، بل يراه المؤمنون يوم القيامة عيانًا، ولا يحيطون بذاته وصفاته، كما قال تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]

(٢٩) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٠٤ - ٣٠٥ رقم ٣٦٦ و٣٦٧) وفي الاعتقاد (ص١١٩). قال الذهبي في العلوّ (١٤١ - مختصر الألباني): (هذا ثابت عن مالك).

أي لا تحيط به، وقوله: «وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ» أي: الإيمان باستواء اللَّه علىٰ عرشه حقيقةً كما يليق بعظمته وجلاله أمرٌ واجب؛ لوروده في الكتاب والسنة، وقوله: «وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ» أي: أن السؤال عن الكيف بدعة، لم يكن في عهد النبيِّ ﷺ وأصحابه، ولم يُعرَف عن أحد من السلف أن سأل عن كيفية صفات اللَّه عَزَّوَجَلَّ أبدًا. ثم لِفقه الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ أمر بالرجل السائل فأخرج من المسجد؛ لأنه صاحب بدعة، وخوفًا من أن يَفتن الناس في عقيدتهم، وزجرًا له. وهكذا موقف أهل السنة والجماعة من أهل البدع يزجرونهم، ويمنعونهم من أسئلتهم التي القصد منها التعنُّت والتشويش والتلبيس علىٰ الناس.

❋ ❋ ❋

«كَلامُ اللَّهِ»

قول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَمِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَىٰ أَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ قَدِيمٍ، يَسْمَعُهُ مِنْهُ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، سَمِعَهُ مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ، وَسَمِعَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وَمَنْ أَذِنَ لَهُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ يُكَلِّمُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الآخِرَةِ وَيُكَلِّمُونَهُ، وَيَأْذَنُ لَهُمْ فَيَزُورُونَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢﴾ [طه: ١١ - ١٢]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه: ١٤]، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَقُولَ هَذَا أَحَدٌ غَيْرُ اللَّهِ.

الشـــرح:

الكلام صفة من صفات اللَّه تعالىٰ الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف؛ ومن الأدلَّة علىٰ ذلك ما أورده المؤلِّف من قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ

مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾﴾، ففي الآية إثباتٌ لاتِّصاف اللَّه بصفة الكلام حقيقة، سمعه موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ووعاه، وامتثل ما فيه من الأوامر والنواهي، ومثلُ هذه الآية قولُه تعالىٰ في حقِّ الرسل - عليهم الصلاة والسلام -: ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾، وكذا قولُه تعالىٰ: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾، فيه إثباتُ النداء للَّه سبحانه، والمناداة هي الصوت المرتفع، والنداءُ كلام مسموع، وكذا قولُه تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾﴾، فيه إثباتُ الكلام، وأنه حروف، وكذا قولُه تعالىٰ: ﴿۞وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾، فيه إثبات الكلام للَّه تعالىٰ، لمن شاء من خلقه من وراء حجاب، وحجابه النور سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأن اللَّه لا يُرىٰ في هذه الدنيا، ما رآه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا محمد ﷺ؛ لأن الخلق لا يُطيقون رؤيته في هذه الدنيا، أما في الآخرة والجنة فإن اللَّه يعطيهم قوَّة يستطيعون بها رؤيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيرونه عِيانًا بأبصارهم، كما ثبت في النصوص، وكذا قولُه تعالىٰ: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ وَهَذَا دَلِيلٌ علىٰ أن اللَّه هو المتكلِّم؛ لأنه مُحال أن يقول ذلك أحدٌ إلا اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكل هذه الآيات دليل علىٰ أن اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ موصوف بصفة الكلام الذي هو صفة ذاتية باعتبار اتِّصاف اللِّه به أزلًا وأبدًا، فاللَّه تعالىٰ ما زال يتكلَّم ويأمر وينهىٰ من الأزل إلىٰ الأبد، وهذا معنىٰ قول المؤلِّف: (إِنَّهُ مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ

قَدِيمٍ)، وباعتبارٍ آخر هو صفة فعليَّة؛ وذلك باعتبار تكلُّم اللَّهِ بمشيئته واختياره مَن شاء بما شاء في الدنيا والآخرة، فالوقت الذي كلَّم اللَّه فيه موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ غير الوقت الذي كلَّم اللَّه فيه محمَّدًا ﷺ، وغيرُ الوقت الذي كلَّم اللَّه فيه آدمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ويكلِّم اللَّهُ عباده المؤمنين؛ كما جاء في الحديث المتَّفق عليه عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «**يَقُولُ اللَّهُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ**» الحديث(٣٠).

❋ ❋ ❋

(٣٠) رواه البخاري برقم (٦٥٤٩) و(٧٥١٨)، ومسلم برقم (٣٨٢٩).

قول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ السَّمَاءِ»[31]، وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ[32]، وَرَوَىٰ

---

(٣١) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٢٨١ رقم ٥٣٦)، وعنه النجاد في «الرد علىٰ من يقول بخلق القرآن» (٣٢ رقم ٥). ونقله أبو نصر السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرد علىٰ من أنكر الحرف والصوت» من السنة لعبد الله بن أحمد - رحمهما الله -، وقال: «وما في رُواته إلا إمام مقبول». انظر: تحريم النظر في كتب أهل الكلام لابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص٦١).

ورواه البخاري في صحيحه معلَّقًا جزمًا (١٣/ ٤٥٢ - الفتح)، ووصله في خلق أفعال العباد (٢٤٢ - ٢٤٣ رقم ٤٨٢ و٤٨٣). ورواه الدارمي في الرد علىٰ الجهمية (ص١٧٢)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٢٨١ رقم ٥٣٧)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٣٥١ - ٣٥٤ رقم ٢٠٨ - ٢١١)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢١٧ و٢١٨)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٣٣٤ رقم ٥٤٩)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٥٠٦ - ٥٠٧ رقم ٤٣٢)، من طريق أبي الضحىٰ عن مسروق عن عبد الله نحوه.

(٣٢) رواه أبو داود برقم (٤٧٣٨)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٣٥٠ برقم ٢٠٧)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٣٣٤ رقم ٥٤٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٥١٠ رقم ٤٣٣ و٤٣٤).

وقد رجح الدارقطني في العلل (٥/ ٢٤٢) الوقف. قال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الصحيحة (٣/ ٢٨٣): «والموقوف وإن كان أصح من المرفوع، ولذلك علقه البخاري في «صحيحه» (٩ / ١١٣ - مطبعة الفجالة)، فإنه لا يُعلُّ المرفوع لأنه لا يقال من قبل الرأي كما هو ظاهر، لاسيما وله شاهد من حديث أبي هريرة مرفوعًا نحوه».

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُنَيْسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَحْشُرُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُرَاةً، حُفَاةً، غُرْلًا، بُهْمًا، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ» رَوَاهُ الْأَئِمَّةُ، وَاسْتَشْهَدَ بِهِ الْبُخَارِيُّ(٣٣)، وَفِي بَعْضِ الْآثَارِ: أَنَّ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْلَةَ رَأَىٰ النَّارَ فَهَالَتْهُ، فَفَزِعَ مِنْهَا، فَنَادَاهُ

---

(٣٣) رواه أحمد (٣/ ٤٩٥)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٣٧ رقم ٩٧٠)، وفي خلق أفعال العباد (٢٤١ رقم ٤٨٠)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٢٦ - ظلال الجنة) برقم (٥١٤)، والحاكم (٢/ ٤٧٥، برقم ٣٦٣٨) و(٤/ ٦١٨، برقم ٨٧١٥) وقال في الموضعين: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ١٩٦ - ١٩٧، برقم ١٣١) من طريق الحاكم، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٦٣٧): «وهو عند أحمد والطبراني في الأوسط بإسناد حسن»، وحسّن إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ١٧٤ - المعرفة)، وقال - في الفتح مختصرًا -: «وللحديث طريق أخرىٰ أخرجها الطبراني في «مسند الشاميين» وتمّام في «فوائده» من طريق الحجاج بن دينار عن محمد بن المنكدر عن جابر وإسناده صالح. وله طريق ثالثة أخرجها الخطيب في «الرحلة» عن أبي الجارود العنسي عن جابر وفي إسناده ضعف»، ونقل الشيخ الألباني كلام الحافظ في ظلال الجنة (١/ ٢٢٧)، ثم قال: «الحديث صحيح بمجموع طرقه الثلاثة».

قال البخاري في صحيحه (١٣/ ٤٥٧ - الفتح): وَيُذْكَرُ عَنْ جَابِرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**يَحْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ**».

رَبُّهُ: «يَا مُوسَىٰ! فَأَجَابَ سَرِيعًا اسْتِئْنَاسًا بِالصَّوْتِ، فَقَالَ: لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ، أَسْمَعُ صَوْتَكَ، وَلَا أَرَىٰ مَكَانَكَ، فَأَيْنَ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا فَوْقَكَ، وَأَمَامَكَ، وَعَنْ يَمِينِكِ، وَعَنْ شِمَالِكِ»، فَعَلِمَ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَىٰ، قَالَ: كَذَلِكَ أَنْتَ يَا إِلَهِي، أَفَكَلَامَكَ أَسْمَعُ، أَمْ كَلَامَ رَسُولِكِ؟ قَالَ: بَلْ كَلَامِي»[٣٤].

❁ الشـــرح:

هذه الآثار التي ذكرها المؤلف تتَّفق مع النصوص السابقة في إثبات صفة الكلام للَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، حيث أثبتت الصوت، والنداء، كما يليق بعظمة اللَّه وجلاله، بلا تحريف، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تكييف. وأما القصَّة التي أوردها المؤلف عن موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ليلة رأىٰ النار، فقد ذكر أهلُ العلم بأنه ليس لها سند ثابت.

❁ ❁ ❁

---

(٣٤) رواه أحمد في الزهد (ص٦١ - ٦٦)، وابن أبي حاتم في التفسير (٩/ ٢٨٤٣ - ٢٨٤٤ رقم ١٦١٢٢)، ورواه ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (ص٢٧٥)، والدينوري في المجالسة (٤/ ٢٩٣ - ٢٩٤ رقم ١٤٥٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦١/ ٤٤ - ٤٨ و٥٠ - ٥١)، مطولًا ومختصرًا، وعبد بن حميد وابن المنذر؛ كما في الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٥٥٤)، عن وهب بن منبه رَحِمَهُ اللَّهُ.

(الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ)

قول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَمِنْ كَلَامِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، وَهُوَ كِتَابُ اللَّهِ الْمُبِينُ، وَحَبْلُهُ الْمَتِينُ، وَصِرَاطُهُ الْمُسْتَقِيمُ، وَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَىٰ قَلْبِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَهُوَ سُوَرٌ مُحْكَمَاتٌ، وَآيَاتٌ بَيِّنَاتٌ، وَحُرُوفٌ وَكَلِمَاتٌ، مَنْ قَرَأَهُ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، لَهُ أَوَّلٌ وَآخِرٌ، وَأَجْزَاءٌ وَأَبْعَاضٌ، مَتْلُوٌّ بِالْأَلْسِنَةِ، مَحْفُوظٌ فِي الصُّدُورِ، مَسْمُوعٌ بِالْآذَانِ، مَكْتُوبٌ فِي الْمَصَاحِفِ، فِيهِ مُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ، وَنَاسِخٌ وَمَنْسُوخٌ، وَخَاصٌّ وَعَامٌّ، وَأَمْرٌ وَنَهْيٌ، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة فصلت: ٤٢]، وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [سورة الإسراء: ٨٨]، وَهُوَ هَذَا الْكِتَابُ الْعَرَبِيُّ الَّذِي قَالَ فِيهِ الَّذِينَ كَفَرُوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ [سبأ: ٣١]، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة المدَّثر: ٢٥]، فَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة المدَّثر: ٢٦]، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ شِعْرٌ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ [سورة يس: ٦٩]، فَلَمَّا نَفَىٰ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ شِعْرٌ، وَأَثْبَتَهُ

قُرْآنًا، لَمْ يَبْقَ شُبْهَةٌ لِذِي لُبٍّ فِي أَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ هَذَا الْكِتَابُ الْعَرَبِيُّ الَّذِي هُوَ كَلِمَاتٌ وَحُرُوفٌ وَآيَاتٌ؛ لِأَنَّ مَا لَيْسَ كَذَلِكَ لَا يَقُولُ أَحَدٌ أَنَّهُ شِعْرٌ، وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣)﴾ [سورة البقرة: ٢٣]، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَتَحَدَّاهُمْ بِالْإِتْيَانِ بِمِثْلِ مَا لَا يُدْرَىٰ مَا هُوَ وَلَا يُعْقَلُ، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۙ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي ۖ﴾ [سورة يونس: ١٥]، فَأَثْبَتَ أَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الْآيَاتُ الَّتِي تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ۚ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٩]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)﴾ [سورة الواقعة: ٧٧ - ٧٩]، بَعْدَ أَنْ أَقْسَمَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كهيعص (١)﴾ [سورة مريم: ١]، ﴿حم (١) عسق (٢)﴾ [سورة الشورى: ١ - ٢]، وَافْتَتَحَ تِسْعًا وَعِشْرِينَ سُورَةً بِالْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمَنْ قَرَأَهُ وَلَحَنَ فِيهِ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٌ»(٣٥). حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

---

(٣٥) عزاه المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في المغني (٢/ ٦) للترمذي، ونقل قوله فيه: «حسن صحيح». ولم أعثر عليه في جامع الترمذي. وقد جاء في الباب عن ابن مسعود وعمر وابن عمر وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بألفاظ مختلفة مضطربة، لا يصح منها شيء. انظر: الضعيفة =

وَقَالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ إِقَامَةَ السَّهْمِ، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَتَعَجَّلُونَ أَجْرَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ»(٣٦)، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «إِعْرَابُ الْقُرْآنِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ حِفْظِ بَعْضِ حُرُوفِهِ»(٣٧)، وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلِّهِ»(٣٨)، وَاتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ عَدِّ سُوَرِ الْقُرْآنِ وَآيَاتِهِ وَكَلِمَاتِهِ وَحُرُوفِهِ.

وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَنَّ مَنْ جَحَدَ مِنَ الْقُرْآنِ سُورَةً أَوْ آيَةً أَوْ

=

للألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (٢٣٤٨) و(٦٥٨٢) و(٦٥٨٣) و(٦٥٨٤).

(٣٦) رواه إسحاق بن راهويه (١٣/ ٥٩١ رقم ٣٢٦٦ - المطالب العالية) وأبو بكر بن أبي شيبة وعبد بن حميد (٢٧٣/ ٢ - إتحاف)، والآجري في أخلاق حملة القرآن (٢٩)، عن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. قال البوصيري: «هذا إسناد مَدَارُهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ بْنِ عُبَيْدَةَ، وَهُوَ ضَعِيفٌ».

(٣٧) عزاه في الكنز (٢/ ٣٣٦ رقم ٤١٧٦) إلىٰ ابن الأنباري في «الإيضاح».

(٣٨) لم أجده عن عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو مرويٌّ عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أخرجه سعيد بن منصور في تفسيره (٢/ ٤٣٦ - ٤٣٨ - آل حميد)، ومسدد في مسنده (٨/ ٥٥٧ رقم ١٧٦٨)، والبيهقي في سننه (١٠/ ٤٣)، والهروي في ذم الكلام (٢/ ٢١ رقم ١٨٠)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٢/ ٢٣٢ رقم ٣٧٩)، من طريقين عن الأعمش عن إبراهيم عن عبد الله قال: «مَنْ حَلَفَ بِالْقُرْآنِ فَعَلَيْهِ بِكُلِّ آيَةٍ يَمِينٌ، وَمَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ - وفي رواية: بآية منه -؛ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ أَجْمَعَ». وأخرجه الهروي في ذم الكلام (٢/ ٢٠ رقم ١٧٩)، من طريق أخرىٰ عن عبد الله بلفظ المصنف.

كَلِمَةً أَوْ حَرْفًا مُتَّفَقًا عَلَيْهِ أَنَّهُ كَافِرٌ، وَفِي هَذَا حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ عَلَىٰ أَنَّهُ حُرُوفٌ.

الشـــرح:

لما أورد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ نصوص صفة الكلام العامِّ للَّه تعالىٰ علىٰ الوجه اللائق بعظمته وجلاله، أردف بذكر ما يُثبت أن القرآن الكريم من كلام اللَّه، حروفه ومعانيه، منزَّل من اللَّه، تكلَّم اللَّه به حقيقة، كما يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وسمعه أمين الوحي جبريلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من ربِّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وبلَّغه إلىٰ نبيِّ هذه الأمة محمَّدٍ ﷺ، وأنه يجب الإيمان به، والقطع بألفاظه ومعانيه، ثم شرع المؤلِّف بذكر أوصاف له عظيمة:

أنه (**كِتَابُ اللَّهِ الْمُبِينُ**): أي المُفْصِح عمَّا تضمَّنه من أحكام وأخبار، وأنه (**حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ**): أي العهد القويُّ الَّذي جعله اللَّه سببًا للوصول إليه، والفوز بكرامته، وأنه (**الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ**): الَّذي من سار علىٰ هديه نجا واهتدىٰ، وأنه منزَّل من اللَّه حقيقةً علىٰ الرسول البشري محمَّدٍ ﷺ بواسطة جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، الموصوف من ربِّه بالروح الأمين، كما وصفه اللَّه بأنه نزل بلغة النبيِّ ﷺ، باللغة العربية الفصيحة ليفهمه الناس، كما أن من أوصافه العظيمة أن الله تعالىٰ أضافه إليه (**فَمِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ**)؛ وقد جاء في الآثار أنه يُرفع من المصاحف والصدور في آخر الزمان، فلا

يبقىٰ منه في الأرض آية[٣٩]، كما أن (سُوَر) القرآن (مُحْكَمَاتٌ): أي متقنات، واضحات المعاني، لا خلل فيها ولا تناقض، وعددها: (١١٤)، منها: (٢٩) افتُتِحت بالحروف المقطَّعة، وآياته كلام اللَّه، حروفٌ وكلمات، وهي علامات ظاهرات علىٰ توحيد اللَّه عَزَّوَجَلَّ وكمال صفاته، وحسن تشريعاته، تعبَّدنا اللَّه تعالىٰ بتلاوة آياته، نتلوه بألسنتنا، ونسمعه بآذاننا، ونكتبه بأيدينا في المصاحف، ورتَّب علىٰ تلاوته أجورًا كثيرة لمن أحسن القول والعمل، ومما ورد في فضلها الحديث الذي أورده المؤلف: «**مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ**» الحديث أخرجه الطبراني في الأوسط باختلاف في لفظه[٤٠]، وضعَّفه الهيثمي[٤١]، ومعنىٰ أعربه: فَهِم معانيه. وفهم المعنىٰ مقصد أساسي للأمة ليعلموا القرآن ويتعلَّموا معانيه، وفي الحديث الصحيح: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنَ الْقُرْآنِ فَلَهُ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا،**

---

(٣٩) رواه ابن ماجه برقم (٤٠٤٩)، من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في الصحيحة (٤٧).

(٤٠) المعجم الأوسط (٧/ ٣٠٧ رقم ٧٥٧٤)، ولفظه: «عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **أَعْرِبُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ وَكَفَّارَةُ عَشْرِ سَيِّئَاتٍ وَرَفْعُ عَشْرِ دَرَجَاتٍ**».

(٤١) قال في مجمع الزوائد (٧/ ٣٣٩ رقم ١١٦٥٥): «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه نهشل وهو متروك».

لَا أَقُولُ: أَلَمِ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»[٤٢]، وأوَّلُه سورة الفاتحة وهي السبع المثاني، والقرآن العظيم، وآخرُه سورة الناس، وترتيبُها باجتهاد الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وهو أجزاء وأبعاض، أي: أجزاؤه ثلاثون جزءًا، ويطلق عليه أبعاض؛ أي بعضه في بيان العقيدة، وبعضه في بيان الشعائر التعبُّدية، وبعضه في بيان الحلال والحرام، وبعضه في بيان الأوامر والنواهي، وبعضه في القصص، وبعضه في الترغيب والترهيب، إلىٰ غير ذلك من موضوعاته الكثيرة، ويُلحق بذلك تحزيبُ أجزاء القرآن، وفيه (**مُحْكَمٌ**) واضح المعنىٰ، وفيه (**مُتَشَابِهٌ**) يخفىٰ معناه علىٰ بعض الناس، إذا رددناه إلىٰ المحكم صار الجميع محكمًا، وقد سبق الحديث عن بيان المحكم والمتشابه في القرآن الكريم. وفي القرآن آيات ناسخةٌ للَفظ آيات أخرىٰ أو لحُكمها، وموضوع الناسخ والمنسوخ أمر مقرَّر في الشرع، لا ينكره إلا طوائف من أهل الضلال كالمعتزلة، كما أن في ألفاظه ألفاظًا عامَّة تشمل أفرادًا، وفي ألفاظه ألفاظًا خاصَّة تخصُّ أفرادًا، يعلم ذلك أهلُ العلم، كما أن القرآن الكريم فيه الأوامر والنواهي من اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لعباده المكلَّفين، وجميع سور القرآن، وآيات القرآن، وجمل القرآن، وكلمات القرآن، وحروف القرآن كلُّها كلام اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ويطلق علىٰ السورة قرآن،

(٤٢) رواه الترمذي برقم (٢٩١٠)، وقال: حسن صحيح غريب.

وعلىٰ الآية قرآن، وعلىٰ الجملة قرآن، وعلىٰ الحرف الواحد قرآن، فمن أنكر شيئًا منها متَّفقًا عليه فهو كافر؛ لأنه جحد ما يجب الإيمان به، ولا يجوز جحدُه وإنكارُه، فإنّ جحْده وإنكاره كفر صريح، وهكذا جحد بعضه أو إنكاره سواء كان قليلًا أو كثيرًا.

ثم أورد المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ جملة من الآيات، وأعقبها بحديثين، وأثرين؛ ليُثبِتَ بالدليل ما قرَّره أهلُ السنة والجماعة في القرآن الكريم، وأنه كلام اللَّه ربِّ العالمين حقًّا، منزَّل غير مخلوق، لا يمكن أن يأتيه الباطل من أي جهة؛ لأنه محروس من الباطل، فيجب اعتقادُ ذلك والإيمانُ به، كما أخبر اللَّه تعالىٰ عنه بقوله الحق: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة فصلت: ٤٢]، وأخبر سبحانه أنه المعجزة الكبرىٰ لمحمَّدٍ ﷺ أعجز الخلق كلَّهم فصحاءهم، وشعراءهم، وخطباءهم، وتحدَّاهم أن يأتوا بسورة من مثله، وبابُ التحدِّي مفتوح إلىٰ أن تقوم الساعة؛ قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨]، وأخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن الكفَّار بما يدلُّ علىٰ استهانتهم بالقرآن، وإعلانهم عدم الإيمان به؛ كما في قوله عَزَّوَجَلَّ عنهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ [سبأ: ٣١]، وأخبر سبحانه بأقوال منكرة فاسدة عن الكفار في وصفهم للقرآن من قولهم بأنه قول بشر،

وأن النبيَّ ﷺ تعلَّمه من اليهود، قال تعالىٰ عنهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة المدثر: ٢٥]، فقال اللَّه متوعِّدًا هذا القائل: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة المدَّثر: ٢٦]، ومن قولهم بأنه شعر، والنبيُّ ﷺ شاعر، فقال تعالىٰ مفنِّدًا مقولتهم هذه: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ [يس: ٦٩]، فقد أكذبهم اللَّه بادِّعائهم أنه شعر، وبيَّن الحق في القرآن وأنه ذِكر، كما في قوله الحق: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [سورة الزخرف: ٤٤]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾﴾ [سورة ص: ١ - ٢]، حتَّىٰ إنَّ بعض الكفار ردَّ هذه المقالة وهو الوليد بن المغيرة فقال: «ما هو شعر، ولا بِهزجه، ولا بِرجزه»[٤٣]، وقد بيَّن اللَّه أنه مبين، بيِّنٌ ظاهر، مبيِّنٌ للحلال والحرام، والأوامر والنواهي، وغير ذلك ممَّا جاء به القرآنُ الكريم، وبهذه الآياتُ استقام قولُ أهل السنة والجماعة في هذه الصفة العظيمة (**كَلَامِ اللَّهِ**) ومنه القرآن الكريم، فإنه كلام اللَّه تعالىٰ بلسان عربيٍّ مبين، وهو كلمات وحروف وآيات، علىٰ ما سبق بيانُه، وبطل قولُ أهل الجحود والإنكار، وأهل التحريف والتعطيل والتشبيه والتمثيل، وزالت شُبَه المخالفين للمنهج

---

(٤٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ١٥٧ - ١٥٨ رقم ١٣٥) وفي دلائل النبوة (٢/ ١٩٨ - ٢٠١)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. ويروىٰ عن عكرمة مولىٰ ابن عباس مرسلًا. انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ١٩٩).

الحق من الكفار المكذِّبين، الذين ادَّعوا بأنه شعر، أو قول بشر، أو سحر، أو أساطير الأوَّلين، بل وتحدَّاهم اللَّه أن يأتوا بمثل هذا القرآن، أو بعشر سور مثله، أو بسورة من مثله، كما زالت شُبَه المخالفين من أهل التأويل الباطل؛ الذين نفوا أن يكون القرآن كلام اللَّه، كالجهمية الذين أنكروا صفة الكلام للَّه تعالىٰ، وكالمعتزلة الذين ادَّعوا بأنه مخلوق، وكالأشاعرة الذين قالوا بأنه عبارة عن كلام اللَّه، عبَّر عنه بلفظه جبريل، وكالكُلَّابية الذين قالوا: إنه حكاية عن كلام اللَّه، ألقىٰ اللَّه المعنىٰ علىٰ قلب محمَّد ﷺ، ومحمَّد حكاه بلغته العربية، لغة قومه! وهذا تأويل فاسد، ليس له أصل، لا في الكتاب، ولا في السنة، ولا في لغة العرب، بل هو قول مبتدع، والأدلَّة علىٰ أن القرآن الكريم كلام اللَّه عَزَّوَجَلَّ من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، فمن الكتاب جاءت آيات محكمات تبيِّن أن القرآن كلام اللَّه، ومن ذلك قولُ اللَّه تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، والخطاب للنبيِّ ﷺ، ولكلِّ مَن يصلح له الخطاب ممَّن تولَّىٰ أمر المسلمين بولاية عامَّة أو خاصَّة، وقال سبحانه تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١]، والفرقان هو القرآن، وسُمِّي فرقانًا لأن اللَّه تعالىٰ فرَّق به بين الحق والباطل، بين التوحيد والشرك، والموحِّدين والمشركين، والمؤمنين والكافرين، وهو غيرُ مخلوق؛

لقول اللَّه عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فالخلق المرادُ به المخلوق، والمراد به فِعلُ اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وهو خَلْقُه لمخلوقاته، والأمر أَمْر اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، والقرآن الكريم من أَمْر اللَّه الذي أمر اللَّه به جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأوحاه إليه، وأمره بتبليغه إلىٰ محمَّدٍ ﷺ، وأمر محمَّدًا ﷺ أن يبلِّغ أمَّته، فبلَّغه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما أُوحي إليه.

وفي الحديث الذي أورده المؤلف: «**مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ...**» الحديث، فيه دليلٌ أيضًا علىٰ أن القرآن حروف وكلمات، كما فيه دلالة علىٰ فضل قراءته ولو شيئًا يسيرًا، وفيه تحذير من طلب عرض الدنيا بالقرآن الكريم وعدم العمل به؛ لأنه وصف ذميم لا يليق بأمَّة القرآن أن تتصف به، وقد حدث هذا الوصف في الخوارج الذي هم من شرِّ الناس، وفي ذلك معجزة للنبيِّ ﷺ، وفي أقوال أبي بكر، وعمر، وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ دليل علىٰ أن القرآن حروف وكلمات، كما أن فيها دليلًا علىٰ أهمية العناية بتفهُّم القرآن وتعلُّم معانيه، كما نقل المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ إجماعَ المسلمين علىٰ أن من جحد من القرآن سورة، أو آية، أو كلمة، أو حرفًا متفَّقًا عليه؛ فإنه يكفر؛ لأنه جحد شيئًا معلومًا من الدين بالضرورة، ولعدم إيمانه بالقرآن الكريم المنزَّل علىٰ سيِّد المرسلين بحروفه وكلماته وآياته وسوره ومعانيه، كما أن في قول المؤلِّف ما يدلُّ علىٰ عدد سور القرآن، وقد ورد في عددها أنها (١١٤) سورة،

منها (٢٩) افتُتِحت بالحروف المقطَّعة؛ الَّتي هي من المتشابه الذي استأثر اللَّه بعلم معناه، مثل: ﴿كٓهيعٓصٓ ①﴾ و﴿حمٓ ①﴾ و﴿نٓ﴾ و﴿صٓ﴾ ونحوها، وفي هذه الحروف معنىٰ الإعجاز، حتىٰ إن العرب يعرفون هذه الحروف، غير أنهم عجزوا أن يأتوا منها بمثل هذا القرآن أو بسورة من مثله.

❋ ❋ ❋

(رُؤْيَةُ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ بِأَبْصَارِهِمْ، وَيَزُورُونَهُ، وَيُكَلِّمُهُمْ، وَيُكَلِّمُونَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الْقِيَامَةُ: ٢٢ - ٢٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥]، فَلَمَّا حَجَبَ أُوْلَئِكَ فِي حَالِ السَّخَطِ دَلَّ عَلَىٰ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ فِي حَالِ الرِّضَا، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ» حَدِيثٌ صَحِيحٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٤٤)، وَهَذَا تَشْبِيهٌ لِلرُّؤْيَةِ بِالرُّؤْيَةِ، لَا لِلْمَرْئِيِّ بِالْمَرْئِيِّ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ).

۞ الشـــرح:

أراد المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا الفصل بيانَ مذهب أهل السنة والجماعة في إثبات رؤية المؤمنين لربِّهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الآخرة، وأنهم يرونه في عرصات القيامة، ويرونه في الجنة، وعلى ذلك الأدلَّةُ من الكتاب، والسنة، وإجماع سلف الأمَّة، فمن أدلَّة الكتاب قولُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا

---

(٤٤) سبق تخريجه.

نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، الأولىٰ من النَّضارة: وهو الحُسن والبهاء، والثانية من النظر إلىٰ وجه اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الذي هو أجلُّ من كلِّ نعيم، يتمتَّع به أهلُ الجنة، وكذا قولُ اللَّهِ تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥] يدلُّ علىٰ إثبات الرؤية؛ لأنه لمَّا حجب الفجَّار عن رؤيته، دلَّ علىٰ أن الأبرار يرونه، وإلا لم يكن بينهما فرق.

ومن أدلَّة السنة قولُ النبيِّ ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وهذا التشبيه للرؤية بالرؤية، لا للمرئيِّ بالمرئيِّ، أي شبَّه رؤية المؤمنين لربِّهم في الآخرة برؤية المؤمنين للقمر ليلة البدر لا يحجُبه سحاب، وليس التشبيه للَّه بالقمر؛ لأن اللَّه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ولا شبيه له ولا نظير. ومن الأدلَّة قولُ اللَّه تعالىٰ: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقد فسَّر النَّبِيُّ ﷺ الحسنىٰ بالجنَّة، والزيادة بالنظر إلىٰ وجه اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ (٤٥)، ومثل ذلك قولُ اللَّه تعالىٰ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣٥]؛ حيث فسر المزيد بالنظر إلىٰ وجه اللَّه

---

(٤٥) روىٰ مسلم في صحيحه برقم (١٨١) عن صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ - قَالَ: - يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ - قَالَ: - فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ. ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٥]».

تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ[٤٦]، وأجمع السَّلف علىٰ رؤية المؤمنين للَّه تعالىٰ دون الكفار؛ بدليل الآية السابقة، يرون اللَّه تعالىٰ حقيقةً تليق به، (وَيُكَلِّمُهُمْ، وَيُكَلِّمُونَهُ)، ليس بينه وبينهم ترجمان، (وَيَزُورُونَهُ) وهو اليوم الذي يسمَّىٰ يومَ المزيد، يحاضرُهم محاضرة كل علىٰ انفراده، وهو علىٰ كل شيء قدير، ويُتحفهم من النعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب أحد من البشر، ولا يحيطون باللَّه تعالىٰ؛ لأن اللَّه لا يحيط به شيءٌ من مخلوقاته لا علمًا ولا رؤية، ولذا قال اللَّه تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣]، هذه عقيدةُ أهل السنة والجماعة في مسألة الرؤية.

---

(٤٦) جاء عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ رواه البزار في مسنده (٧٥٢٨)، والدارمي في الرد علىٰ الجهمية (ص١٢٠ برقم ١٩٨)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٢/ ٥٣٠ برقم ١٢٢٦)، وابن أبي حاتم - كما في تفسير ابن كثير (٧/ ٤٠٧) -، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة (ص١٠٤ برقم ٩٤)، واللالكائي في شرح أصول أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٦٩ برقم ٨١٣).

قال ابن أبي حاتم في العلل (١٧٥٣): «سُئِلَ أَبُو زُرْعَةَ، عن حديثٍ، رواه ابن نمير عن يحيىٰ بن يمان، عن شريك، عن أبي اليقظان، عن أنس في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣٥]، قال: يتجلَّىٰ لهم كلَّ جمعة.

ورواه إِسماعيل بن أبي الحكم الثقفي عن يحيىٰ بن دينار، عن شريك، عن أبي اليقظان، عن زيد بن وهب: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣٥]، قال: يتجلَّىٰ لهم ربُّهم عَزَّوَجَلَّ.

قيل لأَبي زُرْعَةَ: أيهما أصح؟ قال: حديث أنس أصح».

وقد خالف في ذلك أهلُ التعطيل كالمعتزلة، فنفوا رؤية المؤمنين لربِّهم، وقالوا: إن اللَّه لا يُرىٰ، واستدلُّوا بالآية الكريمة: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وبآية: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وفسَّروا نصوص إثبات الرؤية برؤية ثوابِ اللَّه، أو أن المراد بها رؤيةُ العلم واليقين، وتأويلهم هذا تأويل باطل؛ لأنه خلاف ظاهر نصوص القرآن الكريم، والأحاديث الصحيحة، وخلاف طريقة السلف، ومخالفةٌ لإجماع المسلمين الذين يُعتَّد بإجماعهم علىٰ ذلك، وهم بذلك قد عرَّضوا أنفسهم لأعظم الخطر.

ويقابل هؤلاء الضُّلَّال غُلاةُ الصوفية الذين توسَّعوا في إثبات الرؤية، وقالوا بأن غلاتهم ومشايخهم يرون ربَّهم في الدنيا والآخرة، ويقولون لعلماء السنة: أنتم تأخذون دينكم الميِّت عن الميِّت، ونحن نأخذ ديننا عن الحيِّ الذي لا يموت! ويقول أحدهم: حدَّثني قلبي عن ربِّي! وهذا قول علىٰ اللَّه بلا علم.

فالناس في الرؤيا طرفان ووسط: نُفاةٌ: نفوا رؤية المؤمنين لربِّهم في الآخرة، وهم المعتزلة، ومن نحا نحوهم. وغلاةٌ: أثبتوا رؤية غلاتهم ومشايخهم لربِّهم في الدنيا والآخرة. وتوسَّط أهلُ السنة والجماعة بين النفاة والغلاة، فأثبتوا رؤية المؤمنين لربِّهم في الآخرة علىٰ الوجه اللائق به تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ونفوا الرؤية في الدنيا؛ لقول اللَّه تعالىٰ لنبيِّه موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وقد طلب رؤية اللَّه: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣].

(الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ)

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَىٰ أَنَّهُ الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ، لَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ، وَلَا يَخْرُجُ شَيْءٌ عَنْ مَشِيئَتِهِ، وَلَيْسَ فِي الْعَالَمِ شَيْءٌ يَخْرُجُ عَنْ تَقْدِيرِهِ، وَلَا يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ تَدْبِيرِهِ، وَلَا مَحِيدَ عَنِ الْقَدَرِ الْمَقْدُورِ، وَلَا يُتَجَاوَزُ مَا خُطَّ فِي اللَّوْحِ الْمَسْطُورِ، أَرَادَ مَا الْعَالَمُ فَاعِلُوهُ، وَلَوْ عَصَمَهُمْ لَمَا خَالَفُوهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُطِيعُوهُ جَمِيعًا لَأَطَاعُوهُ، خَلَقَ الْخَلْقَ وَأَفْعَالَهُمْ، وَقَدَّرَ أَرْزَاقَهُمْ وَآجَالَهُمْ، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ بِحِكْمَتِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الْأَنبِيَاءُ: ٢٣]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [الْقَمَرُ: ٤٩]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الْفُرْقَانُ: ٢]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الْحَدِيدُ: ٢٢]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الْأَنعَامُ: ١٢٥]، رَوَىٰ ابْنُ عُمَرَ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ: صَدَقْتَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[٤٧]،

(٤٧) أخرجه مسلم برقم (٨)، من حديث ابن عمر عن أبيه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «آمَنْتُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ»(٤٨)، وَمِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي عَلَّمَهُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ يَدْعُو بِهِ فِي قُنُوتِ الْوِتْرِ: «وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ»(٤٩).

وَلَا نَجْعَلُ قَضَاءَ اللَّهِ وَقَدَرَهُ حُجَّةً لَنَا فِي تَرْكِ أَوَامِرِهِ وَعَدَمِ اجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، بَلْ يَجِبُ أَنْ نُؤْمِنَ ونَعْلَمَ أَنَّ لِلَّهِ عَلَيْنَا الْحُجَّةَ بِإِنْزَالِ الْكُتُبِ، وَبِعْثَةِ الرُّسُلِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النِّسَاءُ: ١٦٥]، وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - مَا أَمَرَ وَنَهَىٰ إِلَّا الْمُسْتَطِيعَ لِلْفِعْلِ وَالتَّرْكِ، وَأَنَّهُ لَمْ يُجْبِرْ أَحَدًا عَلَىٰ مَعْصِيَةٍ، وَلَا اضْطَرَّهُ إِلَىٰ تَرْكِ طَاعَةٍ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [الْبَقَرَةُ: ٢٨٦]، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التَّغَابُنُ: ١٦]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا كَسَبَتْۚ لَا

---

(٤٨) رواه الحاكم في معرفة علوم الحديث ص(٧٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥/ ٢٥٠ و٢٥١) و(٢٣/ ٢٠٨ - ٢٠٩) وأبو طاهر السلفي في الطيوريات (٢٩٧)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٢٨٧) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الذهبي: «وتسلسل إليّ هذا الكلام، وهو كلام صحيح، لكن الحديث واهٍ لمكان الرقاشي».

(٤٩) رواه أحمد (١/ ١٩٩ - ٢٠٠)، وأبو داود برقم (١٤٢٥) و(١٤٢٦)، والنسائي برقم (١٧٤٥)، والترمذي برقم (٤٦٤)، وابن ماجه برقم (١١٧٨). قال الترمذي: «حسن».

ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ [غَافِر: ١٧]، **فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ لِلْعَبْدِ فِعْلًا وَكَسْبًا يُجْزَىٰ عَلَىٰ حَسَنِهِ بِالثَّوَابِ، وَعَلَىٰ سَيِّئِهِ بِالْعِقَابِ، وَهُوَ وَاقِعٌ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ).**

۞ الشـــرح:

هذا الباب باب الإيمان بالقضاء والقدر، وهو أحد أركان الإيمان السِّتَّة التي يجب الإيمان بها؛ لأن اللَّه تعالىٰ خصَّه بالذكر في القرآن الكريم، وذكره النبيُّ ﷺ في السنَّة المطهرة، وقد أورد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ جملة من الأدلَّة علىٰ ذلك، وأن من صفات اللَّه تعالىٰ أنه الفعَّال لما يريد، كما قال عزَّ شأنُه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هُودُ: ١٠٧]، فَلَا يَخْرُجُ شَيْءٌ في هذا الكون عن إرادته وسلطانه، ولا يصدر شيءٌ فيه إلا بتقديره وتدبيره، بيده ملكوت السموات والأرض، (**يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ بِعَدْلِهِ وَحِكْمَتِهِ**)، لا يُسأل عمَّا يفعل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والقدر خيرُه كالطاعات والصحة والغنىٰ وغيرها، وشرُّه كالمعاصي والمرض والفقر وغيرها لا يعلمه إلا اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولا بدَّ أن يكون كما أراده اللَّه وكتبه في الأزل في اللوح المحفوظ، الذي هو أم الكتاب والإمام المبين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢]، وأما العباد فلا يعلمونه حتىٰ يقع، وإرادةُ اللَّه في قضائه وقدره قسمان:

١- **إرادةٌ كونيَّةٌ**: الَّتي هي بمعنىٰ المشيئة، كقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن

يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٢٥]، وهذه لا تتخلَّف، بل كلُّ ما أراده اللَّه كونًا من خير وشرٍّ فهو كائن لا محالة.

٢- **إرادةٌ شرعيَّةٌ**: وهي ما أراده اللَّه تعالىٰ من المكلَّفين من عالم الإنس والجن شرعًا، من الأوامر والنواهي، والفرائض والواجبات، وغيرها ممَّا كلَّف اللَّه به العباد من امتثال أوامره، ونهاهم عن الوقوع في المحارم، وهي بمعنىٰ المحبَّة، كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النِّسَاءُ: ٢٧]، وهذه قد توجد من العبد، وقد تتخلَّف بتخلُّفه هو عن العمل المطلوب منه شرعًا مِن فِعْل وتَرْك.

وتجتمع الإرادتان - الكونيَّة والشرعيَّة - في حقِّ المطيع، وأمَّا العاصي فتنفرد في حقِّه الإرادةُ الكونيَّة.

والإيمان بالقدر لا يتمُّ إلا باجتماع مراتبه، وهي:

١- الإيمانُ بأنَّ اللَّه عالم بكلِّ شيء جملةً وتفصيلًا، يعلم كل ما قد جرىٰ به القلم في اللوح المحفوظ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الْحَجُّ: ٧٠].

٢- الإيمان بأن اللَّه كتب في اللوح المحفوظ مقادير كلِّ شيء؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢]، ولقوله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**».

رواه مسلم[٥٠].

٣- الإيمان بأنه لا يكون شيءٌ في السموات والأرض إلا بإرادة اللَّه ومشيئته الدائرة بين الرحمة والحكمة، فهو تعالىٰ يهدي من يشاء برحمته، ويُضلُّ من يشاء بعدله وحكمته، لا يُسأل عمَّا يفعل؛ لكمال حكمته وسلطانه، وهم يسألون، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥].

٤- الإيمان بأن اللَّه تعالىٰ خالق كلِّ شيء في السموات والأرض، لا خالقَ غيرُه، ولا ربَّ سواه؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان: ٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصَّافَّات: ٩٦]، فاللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خالق الخلق، وخالق أعمالهم، ومُقدِّر آجالهم وأرزاقهم.

* **والإيمان بالقضاء والقدر ليس حجة للعاصي علىٰ ترك الطاعة وفعل المعصية**، بحجَّة أن فعل الطاعة وتركها بقدر، وفعل المعصية وتركها بقدر! لأن اللَّه تعالىٰ الذي خلق الخلق وقدَّر آجالهم وأعمالهم، ما ترك العباد هملًا ولا سدًىٰ، وإنما أنزل عليهم الكتب، وأرسل إليهم الرسل، وبيَّن لهم مراده منهم، فمن اهتدىٰ فبفضل اللَّه ورحمته، ومَن ضلَّ فقد ضلَّ بعدل اللَّه

---

(٥٠) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٣)، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وحكمته، واللَّه لا يُسأل عمَّا يفعل، وهم يُسألون، ثم إن اللَّه أضاف عمل العبد إليه، وجعله كسبًا له، يجزىٰ علىٰ عمله الصالح بالثواب، ويستحقُّ العقوبة علىٰ عمله السيِّئ جزاءً وفاقًا؛ لأن اللَّه نهاه عن فعل السيِّئات، وأعطاه القدرة علىٰ اجتنابها، ولم يكلِّفه إلا بما يستطيع، وعلىٰ هذا يكون الجزاء من جنس العمل، ولا يظلم ربُّك أحدًا، وكلُّ ذلك واقع بقضاء اللَّه وقدره، قال اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ﴾ [غَافِرُ: ١٧]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإِنْسَانُ: ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ﴾ [النِّسَاءُ: ١٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾. [الْبَقَرَةُ: ٢٨٦]

* ومن أنكر القدر، أو كذَّب به؛ فهو كافر.

* * *

(الإيمانُ قولٌ وعملٌ)

قول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالْإِيمَانُ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ، وَعَقْدٌ بِالْجَنَانِ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْعِصْيَانِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [الْبَيِّنَةُ: ٥]، فَجَعَلَ عِبَادَةَ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَإِخْلَاصَ الْقَلْبِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ كُلَّهُ مِنَ الدِّينِ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَعْلَاهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٥١)، فَجَعَلَ الْقَوْلَ وَالْعَمَلَ مِنَ الْإِيمَانِ، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [آلُ عِمْرَانَ: ١٧٣]، وَقَالَ: ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾ [الْفَتْحُ: ٤]، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ بُرَّةٍ، أَوْ خَرْدَلَةٍ، أَوْ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(٥٢)، فَجَعَلَهُ مُتَفَاضِلًا.

---

(٥١) رواه البخاري برقم (٩)، ومسلم برقم (٣٥) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. ولفظ البخاري: «بضع وستون».

(٥٢) رواه البخاري برقم (٤٤)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ورواه مسلم - أيضًا - برقم (١٩٣).

۞ الشـــرح:

تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة، **لغةً**: التصديق بدون تردُّد؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧]، أي: بِمصَدِّق.

واصطلاحًا: (**قولٌ باللسان**): كالنطق بالشهادتين، وبكلِّ قول طيب.

و(**عمل بالأركان**): أي: بالجوارح كعمل الصلاة وغيرها من الأعمال.

و(**عقد بالجنان**): أي: اعتقاد بالقلب، كالإيمان باللَّه وملائكته وغير ذلك ممَّا يجب اعتقاده.

(**ويزيد بالطاعة، وينقص بالمعاصي**): وأهلُه فيه متفاوتون في أصله وفي كماله؛ والأدلَّة علىٰ هذا التعريف من القرآن والسنة كثيرة، أورد المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما دلَّ علىٰ صحَّة تعريف الإيمان، وأهمِّيته، وشعبه الكثيرة، وتفاضله في قلوب العباد، وأنهم يتفاوتون فيه، وزيادتُه ثابتة بدون شكٍّ، وإذا ثبتت زيادته ثبت نقصُه، وأن من مات علىٰ الإيمان ولو كان من أهل الكبائر ما لم يكن مشركًا شركًا أكبر، أو كفرًا أكبر، أو منافقًا نفاقًا اعتقاديًّا؛ فإنه تحت المشيئة، وأن مآله إلىٰ الجنة وإن عذَّبه اللَّه بقدر جريمته.

❋ ❋ ❋

(الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ)

قول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ وَصَحَّ بِهِ النَّقْلُ عَنْهُ فِيمَا شَاهَدْنَاهُ، أَوْ غَابَ عَنَّا، نَعْلَمُ أَنَّهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ، وَسَوَاءٌ فِي ذَلِكَ مَا عَقَلْنَاهُ وَجَهِلْنَاهُ، وَلَمْ نَطَّلِعْ عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَعْنَاهُ، مِثْلِ حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ، وَكَانَ يَقَظَةً لَا مَنَامًا، فَإِنَّ قُرَيْشًا أَنْكَرَتْهُ وَأَكْبَرَتْهُ، وَلَمْ تُنْكِرِ الْمَنَامَاتِ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ لَمَّا جَاءَ إِلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ لَطَمَهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ، فَرَجَعَ إِلَىٰ رَبِّهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ عَيْنَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ أَشْرَاطُ السَّاعَةِ مِثْلُ خُرُوجِ الدَّجَّالِ، وَنُزُولِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فَيَقْتُلُهُ، وَخُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَخُرُوجِ الدَّابَّةِ، وَطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ مِمَّا صَحَّ بِهِ النَّقْلُ، وَعَذَابُ الْقَبْرِ وَنَعِيمُهُ حَقٌّ، وَقَدِ اسْتَعَاذَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْهُ، وَأَمَرَ بِهِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ، وَفِتْنَةُ الْقَبْرِ حَقٌّ، وَسُؤَالُ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ حَقٌّ، وَالْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ حَقٌّ، وَذَلِكَ حِينَ يَنْفُخُ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فِي الصُّورِ، ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يس: ٥١]، وَيُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا، فَيَقِفُونَ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يَشْفَعَ فِيهِمْ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ، وَيُحَاسِبُهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَتَتَطَايَرُ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ

إِلَى الْأَيْمَانِ وَالشَّمَائِلِ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ١٢﴾ [الانشقاق: ٧ - ١٢]، وَالْمِيزَانُ لَهُ كِفَّتَانِ، وَلِسَانٌ، تُوزَنُ بِهِ الْأَعْمَالُ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ١٠٢ - ١٠٣].

وَلِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ حَوْضٌ فِي الْقِيَامَةِ مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، وَأَبَارِيقُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ(٥٣)، وَالصِّرَاطُ حَقٌّ يَجُوزُهُ الْأَبْرَارُ، وَيَزِلُّ عَنْهُ الْفُجَّارُ، وَيَشْفَعُ نَبِيُّنَا ﷺ فِيمَنْ دَخَلَ النَّارَ مِنْ أُمَّتِهِ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ فَيَخْرُجُونَ بِشَفَاعَتِهِ بَعْدَمَا احْتَرَقُوا وَصَارُوا فَحْمًا وَحُمَمًا، فَيَدْخُلُونَ بِشَفَاعَتِهِ، وَلِسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ شَفَاعَاتٌ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ٢٨﴾ [الْأَنْبِيَاءُ: ٢٨]، وَلَا تَنْفَعُ الْكَافِرَ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ. وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ لَا تَفْنَيَانِ، فَالْجَنَّةُ

---

(٥٣) رواه مسلم برقم (٢٣٠٠)، من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخرج البخاري برقم (٦٥٧٨)، ومسلم برقم (٢٢٩٢) نحوه، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

مَأْوَىٰ أَوْلِيَائِهِ، وَالنَّارُ عِقَابٌ لِأَعْدَائِهِ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا مُخَلَّدُونَ، ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزخرف: ٧٤ - ٧٥]، وَيُؤْتَىٰ بِالْمَوْتِ فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُقَالُ: «يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ».

الشــــرح:

قول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَيجبُ الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ...)**: أي إن من معتقد أهل السنة والجماعة أن كلَّ ما ثبت عن النبيِّ ﷺ من أخبار من أصول الدين وفروعه، وحقوقه ومكمِّلاته، سواء من أمور الغيب، أو غير ذلك من الأحكام، وبيان الحلال والحرام؛ وجب علىٰ كلِّ مكلَّف أن يؤمن بذلك، سواء عقل المعنىٰ أو لم يعقل، وليس من شرط الإيمان العلم بكلِّ شيء، بل من بلغه نصٌّ ثابت في الكتاب والسنة؛ وجب الإيمان والتصديق به؛ قال اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البَقَرَةُ: ١١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النِّسَاءُ: ٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النِّسَاءُ: ٥٩]، وقد ذكر المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أمورًا من مباحث العقيدة:

الأمر الأوَّل: الإسراء والمعراج: وقد ثبت في النصوص أنه أُسري بشخص

النبيِّ ﷺ من مكَّة إلىٰ بيت المقدس، يقظةً لا منامًا، قال تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الْإِسْرَاءُ: ١]، وجمع اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ النبيِّين في بيت المقدس، وصلَّىٰ بهم النبيُّ ﷺ إمامًا، ولا نَسأل عن الكيفية: كيف جمعهم، وكيف صلَّىٰ بهم؟ نؤمن بذلك وأنه حقٌّ؛ لأنه ثابت، وبعد ذلك عُرِج به ﷺ يقظةً في المعراج الذي يَعرُج فيه الأنبياءُ من الأرض إلىٰ السماء؛ لقول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾ [النَّجْمُ: ١ - ١٨]، وكان الإسراء والمعراج في ليلة واحدة، فرض اللَّه عليه الصلوات الخمس، وأطلعه علىٰ أمور عظيمة، وأصبح بين ظهرانَيْ قريش، فحدَّث الناس بما رأىٰ، فكذَّبه الكفَّار، وقالوا: يستحيل أن يكون ذلك الذهاب والرجوع في ليلة واحدة، والمعلوم أن المسافة تُقطع في شهر، وطلبوا منه وصف بيت المقدس فجلَّاه اللَّه أمامه فوصفه، فذهب بهم الكِبْر إلىٰ التكذيب، وصدَّقه أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال لهم: «كَيْفَ لَا أُصَدِّقُهُ وَخَبَرُ السَّمَاءِ يَأْتِيهِ صَبَاحًا وَمَسَاءً»، فَسُمِّيَ الصِّدِيقَ(٥٤)، وأهلُ الإيمان حقًّا يؤمنون بهذا الأمر،

---

(٥٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٥ برقم ٤٤٠٧) وعنه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٦٠ - ٣٦١)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤/ ٧٧٣ برقم ١٤٣٠) عن عروة بن الزبير عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. ورواه الآجري في الشريعة (٣/ ١٥٣٨ رقم ١٠٣٠) =

وأنه من المعجزات العظيمة التي أكرم اللَّه بها نبيَّ هذه الأمة، وكذا يؤمنون بما جرىٰ فيه من أمور غيبيَّة أخبر بها الصادق المصدوق ﷺ.

الأمر الثاني: مجيء ملك الموت إلىٰ نبيِّ اللَّهِ موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بصورة إنسان: وهذا الأمر من الأمور الثابتة؛ التي دلَّ عليها الحديثُ الصحيحُ الذي رواه البخاري، وفيه: «**أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَىٰ مُوسَىٰ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إِلَىٰ رَبِّهِ، فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَىٰ عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ. قَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِ، فَقُلْ لَهُ: يَضَعُ يَدَهُ عَلَىٰ مَتْنِ ثَوْرٍ، فَلَهُ بِمَا غَطَّتْ يَدُهُ بِكُلِّ شَعَرَةٍ سَنَةٌ. قَالَ: أَيْ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ. قَالَ: فَالآنَ. قَالَ: فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ.** قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **لَوْ كُنْتُ ثَمَّ لأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَىٰ جَانِبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ**»[٥٥]، وقد أثبت المؤلِّف هذا الأمر في العقيدة؛ لأن بعض المبتدعة أنكره، يقولون: يمتنع أن يلطم موسىٰ الملك! ويُردُّ عليهم بأن ذلك غير ممتنع؛ لأن الملَكَ جاءه في صورة إنسان.

الأمر الثالث: ذِكرُ أشراط الساعة: وأشراط الساعة حقٌّ دلَّت عليها النصوص الصحيحة من السنة المطهَّرة، وهي العلامات التي تدلُّ علىٰ قرب

=

عن عروة مرسلًا. ورواه غيره؛ انظر: الصحيحة للألباني (٣٠٦).

(٥٥) أخرجه البخاري برقم (٣٤٠٧).

يوم القيامة، وهي كبرىٰ وصغرىٰ، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [مُحَمَّد: ١٨]، وقد ذكر المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعضًا من أشراطها الكبرىٰ، وهي:

١- **خروج الدَّجَّال:** لفظة الدجَّال مأخوذة من الدَّجَل، وهو الكذب والتمويه، والمراد به رجل يخرج في آخر الزمان، تبتلىٰ به الأمة، يدعوهم إلىٰ طاعته، ويُجري اللَّه علىٰ يديه أمورًا من الخوارق، ويتبعه اليهود والنساء، والأعراب لجهلهم، ويسير في الأرض كلِّها، إلا مكَّة والمدينة فيمنع منها، يرصد اللَّه له ملائكة تمنعه وجنده من دخولهما، ومدَّتُه أربعون يومًا، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وباقي أيَّامه كأيَّامنا المعروفة، وهو أعور العين اليمنىٰ، مكتوب بين عينيه كافر، وخروجه وصفاته والتحذير من فتنته دلَّت عليها النصوص الصحيحة، ومنها: قولُ النبيِّ ﷺ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٥٦).

روىٰ أحمد في مسنده، والبزار، وابن حبان في صحيحه، من حديث حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَرَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «**لَفِتْنَةُ بَعْضِكُمْ أَخْوَفُ عِنْدِي مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، إِنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ فِتْنَةٍ صَغِيرَةٍ وَلَا كَبِيرَةٍ**

---

(٥٦) رواه مسلم برقم (٥٩٠)، من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

إِلَّا تَتَّضِعُ لِفِتْنَةِ الدَّجَّالِ، فَمَنْ نَجَا مِنْ فِتْنَةٍ مَا قَبْلَهَا نَجَا مِنْهَا، وَإِنَّهُ لَا يَضُرُّ مُسْلِمًا، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ، مُهَجَّاةٌ: ك، ف، ر»(٥٧)...

وروىٰ مسلم في صحيحه من حديث هشام بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ»** وفي لفظ: **«أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ»**(٥٨).

٢- نزول عيسىٰ بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ ثابت بالنصوص الصحيحة، ومنها قوله ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا وَعَدْلًا، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، لَا يَقْبَلُهَا مِنْ كَافِرٍ، وَيَفِيضُ الْمَالُ حَتَّىٰ لَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ، حَتَّىٰ تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»** مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٥٩)، يطلب الدجَّال حتىٰ يدركه بباب لُدٍّ فيقتله، ويحجُّ ويعتمر، ويحكم بشريعة محمَّد ﷺ، ويتزوَّج ويُنجب، ويمكث أربعين سنة، ثم يموت ويصلِّي عليه المسلمون.

٣- يأجوج ومأجوج: قبيلتان عظيمتان من ذريَّة آدم، موجودتان، ذكرهما اللَّه في القرآن، قال تعالىٰ: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى

---

(٥٧) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣٨٩)، والبزار في مسنده (٢٨٠٧) و(٢٨٠٨)، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٢١٨ برقم ٦٨٠٧) واللفظ له، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٠٨٢).

(٥٨) رواه مسلم برقم (٢٩٤٦)..

(٥٩) رواه البخاري برقم (٣٤٤٨)، ومسلم برقم (١٥٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ الآيات (٩٣ - ٩٨) من سورة الكهف، ودلَّ قولُ اللَّه تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأَنبياءُ: ٩٦ - ٩٧] علىٰ كون خروجهم من أشراط الساعة، وقد ورد في خبرهم أنهم حينما يخرجون يعيثون في الأرض فسادًا، وأنه لا قدرة لأحد علىٰ قتالهم من كثرتهم، وأنهم يحصرون نبيَّ اللَّه عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ومن معه من المؤمنين الَّذين نجوا من الدجَّال، فيدعو عليهم، فيُهلكهمُ اللَّه عَزَّوَجَلَّ أجمعين بالنَّغف - وهو دُودٌ في رقابهم - فيؤذون الأرض والمؤمنين بنتنهم، فيدعو عيسىٰ وأصحابه ربَّهم، فيُرسلُ اللَّه طيرًا، فتحملهم حيث شاء اللَّه.

٤- **خروج الدابة**: علامة أخرىٰ من علامات الساعة الكبرىٰ، وهي دابَّة يُخرجها اللَّه تنذر الناس، قال تعالىٰ: ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النَّمل: ٨٢]، وقد ورد في الآثار أنها تكلِّم المؤمن والكافر: هذا مؤمن، وذاك كافر، واللَّه أعلم.

٥- **طُلُوع الشَّمس من مغربها**: وهذه من العلامات الكبرىٰ العظيمة؛ قال اللَّه تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ﴾ [الأَنعَام: ١٥٨]، وقال النبيُّ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ**

تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، وَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٦٠).

وهذه العلامات الخمس التي ذكرها المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هي من علامات الساعة العشر الكبرىٰ الَّتي ثبتت بقول النبيِّ ﷺ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَرَوْا قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَىٰ مَحْشَرِهِمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٦١).

الأمر الرابع: فتنة القبر: والمرادُ بها اختبارُ الميِّت في قبره بسؤال الملكين مُنْكَر ونَكير له عن ربِّه، ودينه، ونبيِّه، وهي ثابتة بالكتاب والسنة؛ قال اللَّهُ تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وقال النبيُّ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّىٰ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ

---

(٦٠) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٦)، ومسلم برقم (١٥٧)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٦١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٠١)، عن حذيفة بن أسيد الغفاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ. فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَىٰ مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ فِي قَبْرِهِ. قَالَ: وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ. فَيُقَالُ لَهُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً يَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرُ الثَّقَلَيْنِ». أخرجه البخاري في كتاب الجنائز[٦٢]، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها[٦٣]، ويُستثنىٰ من هذه الفتنة الشهيدُ والمرابِطُ في سبيل اللَّه؛ كما دلَّت عليه النصوص.

الأمر الخامس: عذاب القبر ونعيمه: دلَّ علىٰ حقيقة هذا الأمر قولُ اللَّه تعالىٰ في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦]، وقد استعاذ النبيُّ ﷺ من عذاب القبر، وأمر أمَّته بذلك في الصلاة، وقال النبيُّ ﷺ في حديث البراء بن عازب المشهور، قال في المؤمن: **«فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ رِيحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ»**، وقال في الكافر: **«فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا مِنَ النَّارِ، فَيَأْتِيهِ**

---

(٦٢) رواه البخاري برقم (١٣٧٤)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦٣) رواه مسلم برقم (٢٨٧٠)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّىٰ تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ». الحديث، رواه أحمد وأبو داود(٦٤).

والعذاب في القبر أو النعيم يحصل لروح الميِّت وبدنه، وأحوالُ الحياة البرزخية والأخروية حقيقةٌ لا تقاس بأحوال الدنيا، يؤمن بها المؤمنون، ويصدِّقون بحقيقتها كما جاءت عن المعصوم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

الأمر السادس: النفخ في الصور، والبعث بعد الموت، وهو حقٌّ ثابت بأدلَّة الكتاب والسنَّة الدالَّة علىٰ إخبار اللَّه وقدرته بإعادة أجساد الأموات، وإحيائها بعودة الأرواح إليها، وذلك حين يأمر اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إسرافيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الموكَّل بالنفخ في الصور، وهو قَرْن عظيم تتسع دائرته للسموات والأرض قد التقمه، ينفخ فيه ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث من القبور. وقيل: نفختان، نفخة يفزعون منها ويصعقون، ونفخة للبعث، والعلم عند اللَّه تعالىٰ، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [النَّمْلُ: ٨٧]، وقال سبحانه: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزُّمَرُ: ٦٨].

الأمر السابع: حشر الناس يوم القيامة: والمراد به جَمْع الخلائق يوم

---

(٦٤) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧)، وأبو داود برقم (٤٧٥٣).

القيامة لحسابهم والقضاء بينهم، وهو أمر واقع لا محالة؛ قال اللَّه تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة: ٤٩ - ٥٠]، وقال النبيُّ ﷺ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لِأَحَدٍ**». متفق عليه(٦٥)، يقفون في صعيد واحد، ينفذهم البصر، ويُسمعهم الداعي، حفاةً لا نعال لهم، عراةً لا كسوة عليهم، غُرْلًا لا ختان فيهم؛ كما قال اللَّه تعالىٰ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأَنبِيَاءُ: ١٠٤]، وفي مسند الإمام أحمد من حديث عبد الله بن أنيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا، قُلْنَا: وَمَا بُهْمًا؟ قَالَ: لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ**»(٦٦)، وينتظرون نزول الربِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ليفصل بينهم.

الأمر الثامن: الشفاعة العظمىٰ: والشفاعة يوم القيامة منها: ما هي خاصَّة بالنبيِّ ﷺ، ومنها ما هي عامَّة له ولغيره من الملائكة، والنبيين، والمؤمنين.

فالخاصَّة وهي المرادة بقول المؤلِّف: (حَتَّىٰ يَشْفَعَ فِيهِمْ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ)، فحين يطول الوقوف بالناس في عرصات القيامة، ويريدون القضاء بينهم ليريحهم من موقفهم، فيأتون إلىٰ آدم، ثم إلىٰ نوح، ثم إلىٰ إبراهيم، ثم إلىٰ

---

(٦٥) أخرجه البخاري برقم (٦٥٢١)، ومسلم برقم (٢٧٩٠) واللفظ له، من حديث سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦٦) أخرجه أحمد (٣/ ٤٩٥).

موسىٰ، ثم إلىٰ عيسىٰ - عليهم الصلاة والسلام -، حتىٰ يصل الأمر إلىٰ نبيِّنا محمد بن عبد اللَّه ﷺ، فيقول: «**أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا**»(٦٧)، ويأذن اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له ﷺ، فيشفع عنده ليفصل في أهل الموقف بقضائه العدل.

الأمر التاسع: الحساب: الذي هو إطْلاع اللَّه عبادَه علىٰ أعمالهم، وتعريفُه مقادير الجزاء علىٰ أعمالهم، وتذكيرُهم بما قد نسُوه، وهذا الأمر ثابت بالكتاب والسنة والإجماع؛ قال اللَّهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الْغَاشِيَةُ: ٢٥ - ٢٦]، وأخرج النسائي عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ صَلَاتُهُ**»(٦٨)، وفي الحديث الآخر أن النبيَّ ﷺ قال: «**أَوَّلُ مَا يُقْضَىٰ بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ**»(٦٩)، وحساب اللَّه للمؤمن أن اللَّه تعالىٰ يخلو به فيَعْرض عليه ذنوبَه؛ كما جاء في الحديث عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**إِنَّ اللَّهَ يَضَعُ كَنَفَهُ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، فَيَقُولُ: عَبْدِي عَمِلْتَ كَذَا، وَعَمِلْتَ كَذَا. وَهُوَ يَعْتَرِفُ، حَتَّىٰ يَظُنَّ أَنْ سَيَهْلِكُ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: أَنَا سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَغْفِرُهَا**

---

(٦٧) رواه الطيالسي في مسنده (٢٧١١) في حديث طويل، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وعند البخاري برقم (٧٥١٠)، ومسلم برقم (١٩٣)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بدون تكرير: «**أنا لها**».

(٦٨) أخرجه النسائي برقم (٣٩٩١).

(٦٩) أخرجه البخاري برقم (٦٨٦٤)، ومسلم برقم (١٦٧٨)، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لَكَ الْيَوْمَ»[70]، وهو الحساب اليسير، ومن الناس من يُحاسَب حسابًا عسيرًا ويُلقىٰ في النار، ومنهم من يدخل الجنَّة بغير حساب، والواجب علىٰ كل مسلم الإيمانُ بذلك، وأن يستعدَّ للحساب بالعمل الصالح، وبمحاسبة النفس دائمًا؛ حتىٰ يكون حسابه يسيرًا يوم القيامة.

الأمر العاشر: الموازين: وهي موازين حقيقيَّةٌ، لكل ميزان لسان وكفَّتان، توزن بها أعمال العباد خيرُها وشرُّها، حتىٰ مثاقيل الذَّرِّ، يبين بها رجحان الحسنات علىٰ السيئات وبالعكس، ويوزن بها العاملون، وتوزن صحائف أعمالهم، وهي من أمور الغيب، يجب الإيمان بها، فمن ثقلت موازين حسناته فهو في الجنة، ومن خفَّت موازينه كان من أهل النار، ويعفو اللَّه عمن يشاء ممَّن خفت موازينه من أهل الإيمان، وإذ كان الأمر كذلك؛ فإن علىٰ المؤمن أن يستكثر من الحسنات، وأن يتوب من السيِّئات، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأَنْبِيَاءُ: ٤٧]، وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ١٠٢ - ١٠٤]، وقال النبيُّ ﷺ: «**كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ**

---

(٧٠) رواه البخاري برقم (٢٤٤١)، ومسلم برقم (٢٧٦٨)، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٧١]، وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في صاحب البطاقة: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ». الحديث، رواه الترمذي وابن ماجه[٧٢]، وقال الألباني: «إسناده صحيح»[٧٣]، فأهل السنة يؤمنون بذلك لثبوتها، وينكرها أهل البدع بقولهم بأنَّ اللَّه لا يحتاج إلىٰ ذلك، فأرادوا التنزيه بزعمهم، فسلكوا مسلك التأويل الباطل.

الأمر الحادي عشر: نشر الدواوين: والمرادُ تطايرُ صحائفِ الأعمال يوم القيامة في يد أهلها، الَّتي كتبها الكرامُ الكاتبون، فآخذٌ كتابه بيمينه إلىٰ الجنة، وآخذٌ كتابه بشماله إلىٰ النار؛ قال اللَّه تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانْشِقَاقُ: ٧ - ١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ

(٧١) رواه البخاري برقم (٧٥٦٣)، ومسلم برقم (٢٦٩٤)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٧٢) رواه الترمذي برقم (٢٦٣٩)، وابن ماجه برقم (٤٣٠٠)، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. قال الترمذي: «حسنٌ غريبٌ».

(٧٣) انظر: الصحيحة (١٣٥).

كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾﴾ [الْحَاقَّةُ: ١٩- ٢٥]، فالمؤمن يأخذ كتابه بيمينه فيفرح ويستبشر، ويقول كما قال اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿هَاؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾﴾ [الحَاقَّةُ: ١٩]، والكافر يأخذ بشماله أو من وراء ظهره، فيدعو بالويل والثبور، ويقول كما قال اللَّه عنه: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾﴾ [الْحَاقَّةُ: ٢٥ - ٢٦].

الأمر الثاني عشر: الحوض: أي ومن معتقد أهل السنة والجماعة - الإيمانُ بأن لنبيِّنا محمد ﷺ حوضًا من ماء في عرصات القيامة، يرِدُه المؤمنون من أمَّته، ويُحرم منه أهلُ الكفر والنفاق والبدع العظيمة من أهل التغيير والتبديل والإحداث في الدين، ويستمدُّ ماءه من الكوثر المذكور في قول اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾ [الكوثر: ١]، قال النبيُّ ﷺ: «**إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَىٰ الْحَوْضِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٧٤)، وقال النبيُّ ﷺ: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٧٥)، وقد خالفت المعتزلة فلم تقل بإثبات الحوض، بل أنكرته، بالإضافة إلىٰ ما عندهم من بدع منكرة: كالقول بخلق القرآن، وجحد الصفات، وإنكار الميزان، وقد ورد أن لكلِّ نبيٍّ حوضًا ترِدُه أمَّتُه، ولكن حوض نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ أكبرُها وأعظمُهما وأكثرُها ورودًا؛

(٧٤) رواه البخاري برقم (٦٥٨٣) و(٦٥٨٤)، ومسلم برقم (٢٢٩٠) و(٢٢٩١)، عن سهل بن سعد وأبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٧٥) سبق تخريجه، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا، وَإِنَّهُمْ لَيَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً**»(٧٦).

الأمر الثالث عشر: الصراط: والمراد به الجسر الممدود الذي يُنصب على شفير جهنم يوم القيامة، فيعبُر عليه الخلائق، وهو أدقُّ من الشعر، وأحدُّ من السيف؛ كما قال أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ». رواه مسلم(٧٧)، فأما المؤمنون فيعبُرونه على حسب أعمالهم، منهم من يَجُوزه كالبرق، وكالطرف، وكأجاويد الخيل والركاب، وكأشد ما يكون الرجال، حتى يمرَّ آخرهم يسحب سحبًا، وأما غيرهم فيسقط في نار جهنم، وقد ثبت خبر هذا الصراط؛ وذلك في تفسير عبد اللَّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لقول اللَّه تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مَرْيَمُ: ٧١]، فسَّرها بالمرور على الصراط(٧٨)، وثبت في الحديث في قول النبيِّ ﷺ: «**ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجِسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ**، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: **مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ**

---

(٧٦) رواه الترمذي برقم (٢٤٤٣)، وقال: «هذا حديث غريب، وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلًا ولم يذكر فيه عن سمرة، وهو أصح».

(٧٧) رواه مسلم برقم (١٨٣).

(٧٨) رواه أحمد (١/ ٤٣٤)، والترمذي برقم (٣١٦٠).

لَهَا شَوْكَةٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالَ لَهَا: السَّعْدَانُ. يَمُرُّ الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٍ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّىٰ يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا» الحديث، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٧٩)، والواجب علىٰ كل مسلم الإيمان بوجود الصراط، وأن يحرص علىٰ الاستكثار من الحسنات، والبعد عن السيئات، حتىٰ يُثبِّت اللَّهُ قدميه حين تزول الأقدام، ويوفِّقه إلىٰ الجواز علىٰ الصراط بسلام يوم القيامة.

الأمر الرابع عشر: شفاعات أخرىٰ غير الشفاعة العظمىٰ: تكون لنبيِّنا محمد ﷺ خاصَّة، وشفاعات لسائر الأنبياء والمؤمنين، والملائكة، والشفاعة حقٌّ إذا تحقَّقت شروطُها:

الشرط الأول: أن تكون بإذن اللَّه تعالىٰ؛ لأن الشفاعة ملكه سبحانه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾ [الزُّمَرُ: ٤٤].

والشرط الثاني: أن تكون برضا اللَّه عن المشفوع فيه، بأن يكون من أهل التوحيد، وأما المشركون شركًا أكبر، والكافرون كفرًا أكبر، والمنافقون نفاقًا اعتقاديًّا؛ فلا تنفعهم الشفاعة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨﴾ [المدَّثر: ٤٨]، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [النَّجْمُ: ٢٦].

(٧٩) رواه البخاري برقم (٧٤٣٩)، ومسلم برقم (١٨٣)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومن الشفاعة الخاصَّة لنبيِّنا محمد ﷺ شفاعته لأهل الجنة في دخول الجنة، ولعمِّه أبي طالب ليكون في ضحضاح من نار وعليه نعلان يغلي منهما دماغُه، وكذلك شفاعتُه ﷺ لأهل الكبائر من أمَّته؛ وممَّا يدل على ثبوت شفاعات نبيِّنا محمد ﷺ وغيره من الأنبياء - عليهم السلام -، والملائكة، والمؤمنين ما جاء في الحديث المتَّفق عليه عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ، وفيه: «**فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ، قَدْ عَادُوا حُمَمًا**»[(٨٠)].

وهذه الشفاعات يُنكرها المعتزلة والخوارج بناءً على مذهبهم الباطل: أن مرتكب الكبيرة خالد مخلَّدٌ في النار، ومن دخل النار فلا يخرج منها أبدًا، ولا تنفعه الشفاعة، وهم بذلك يخالفون المتواتر من الأحاديث عن النبيِّ ﷺ وإجماع السلف، وتحجَّروا واسعًا لقلَّة علمهم، وكثرة جهلهم، واستكبارهم عن طلب الحق من أهله الذين هم حملة الكتاب والسنة، أما أهل السنة والجماعة فمعتقدهم أن العصاة من المسلمين لا يخلدون في النار إذا دخلوها، وإنما يلبثون فيها بقدر جرائمهم، ولتطهر النار ما كان فيهم من خبث؛ لأن الجنة دار طيِّبة لا يدخلها إلا طيِّب، والنار دار خبيثة، ويكون

(٨٠) رواه مسلم برقم (١٨٣)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مآلهم إلىٰ الجنة بفضل اللَّه عَزَّوَجَلَّ ثم بشفاعة الشافعين، وعلىٰ رأس الشافعين نبيُّنا محمد ﷺ الذي ثبت عنه أنه قال: «**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**»(٨١)، وهم الذي وقعوا في الموبقات كالزنا، والسرقة، وشرب الخمر، ونحو ذلك، وماتوا بدون توبة، ولكنهم من أهل التوحيد والصلاة، فقضىٰ اللَّه عَزَّوَجَلَّ لهم بالشفاعة فيهم.

الأمر الخامس عشر: الجنة والنار: هذا بيانٌ لمعتقد أهل السنة والجماعة في الجنة والنار، وأنهم يؤمنون بأن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما موجودتان الآن، وأن الجنة دار المتقين؛ كما أخبر اللَّه عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الشُّعَرَاءُ: ٩٠]، وأن النار دار الغاوين؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الشُّعَرَاءُ: ٩١]، وأن من دخل الجنة لا يخرج منها أبدًا؛ لأنها لا تفنىٰ ولا تبيد، وهي دار لها بداية وليس لها نهاية؛ كما قال تعالىٰ: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [البيِّنة: ٨]، وقال تعالىٰ: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هُودُ: ١٠٨]، نعتها اللَّه عَزَّوَجَلَّ بأجمل النعوت لتظَلَّ الأمة راغبة في دار الكمال؛ حيث قال سبحانه: ﴿۞ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا ۖ وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ [الرَّعْدُ: ٣٥]، وقال تعالىٰ: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ

---

(٨١) رواه أحمد (٣/ ٢١٣)، وأبو داود برقم (٤٧٣٩)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ...﴾ الآية [من سورة محمد: ١٥]، إلىٰ غير ذلك من الآيات، ومن الأحاديث قولُ النبيِّ ﷺ حين صلَّىٰ صلاة الكسوف: «**إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنْقُودًا وَلَوْ أَخَذْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَرَأَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ أَفْظَعَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٨٢)، وكثيرة هي نصوص الكتاب والسنة الدالَّة علىٰ عظيم نعيم الجنة وما أعدَّ اللَّه لأهلها فيها، وأن من دخلها ينعم فلا يبأس، ويحيا فلا يموت، لا تبلىٰ ثيابه، ولا يفنىٰ شبابه، له من الزوجات الحسان والخدم والولدان والقصور العاليات وأنواع النعيم المقيم ما لا عين رأيت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر، نسأل الله الكريم من فضله والفردوس من جنته.

* ويؤمنون أن النار مخلوقة كذلك، وهي لأعداء اللَّه، وأهلُها فيها قسمان:

قسم لهم الخلود الدائم، لا خروج لهم منه أبدًا، وهم أهل الكفر الأكبر، والشرك الأكبر، والنفاق الاعتقادي، والإلحاد المخرج من الملَّة، فهؤلاء هم أهلُها، لا يموتون فيها ولا يحيون؛ كما قال تعالىٰ: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ [فاطر: ٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزُّخْرُفُ: ٧٤ - ٧٥]، وإذا استغاثوا بربِّهم لا يجيب دعوتهم، ولا يُلبِّي طلبهم،

---

(٨٢) رواه البخاري برقم (٥١٩٧)، ومسلم برقم (٩٠٧)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولا يُرحمون؛ لأنهم لم يأتوا بأسباب الرحمة، والذي لا يأتي بأسباب الرحمة هو الذي ظلم نفسه، وربُّك لا يظلم أحدًا من خلقه أبدًا؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [يونس: ٤٤]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [آل عمران: ١٠٨].

وقسم من عُصاة الموحِّدين من أهل الموبقات الذين ماتوا دون توبة من ذنوبهم فهم تحت المشيئة، إن شاء اللَّه بفضله عفا عنهم، وإن شاء عذَّبهم في النار بقدر ما اجترحوا من السيِّئات، ثمَّ مآلهم إلىٰ الجنة.

* **والنار لا تفنىٰ؛ كما قال تعالىٰ:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٦٤ - ٦٥]، وغير ذلك من النصوص كثيرة.

فالواجب علىٰ المسلم أن يعلم أن الأعمال الصالحة سبب لدخول الجنة، والأعمال السيِّئة سبب لدخول النار، وأن يطلب من اللَّه هداية القلوب صادقًا ومخلصًا ومقبلًا، ويسير في طريق الهداية؛ يقيم فرائض اللَّه كما شرع، ويتقرَّب إلىٰ اللَّه بما استطاع من النوافل والمستحبَّات البدنية والمالية، ويسخِّر لسانه في كلمة الحق وفي ذكر اللَّه وقراءة القرآن والصلح بين المسلمين، ونحو ذلك من الأعمال الصالحة، وعليه أن يحذر ويتجنَّب ما يسخط اللَّه من الأقوال والأعمال، نسأل اللَّه الجنَّة، ونعوذ به من النار، إنه سميع مجيب الدعاء.

الأمر السادس عشر: ذبح الموت: يجعله اللَّه في الآخرة شيئًا مرئيًّا في صورة كبش أملح، ويؤتىٰ به بين الجنة والنار بعد دخول أهلها فيها، فيذبح؛ كما جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبيَّ ﷺ قال: «**يُؤْتَىٰ بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ. فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ. وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ النَّارِ. فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ. وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ:** ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾». أخرجه البخاري[٨٣]، وحينها يزداد نعيم أهل الجنة، ويزداد عذاب أهل النار.

❁ ❁ ❁

(٨٣) رواه البخاري برقم (٤٧٣٠)، ورواه مسلم برقم (٢٨٤٩) نحوه.

«حُقُوقُ النَّبِيِّ محمَّدٍ ﷺ، وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»

قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، لَا يَصِحُّ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِرِسَالَتِهِ، وَيَشْهَدَ بِنُبُوَّتِهِ، وَلَا يُقْضَىٰ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْقِيَامَةِ إِلَّا بِشَفَاعَتِهِ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أُمَّةٌ إِلَّا بَعْدَ دُخُولِ أُمَّتِهِ، صَاحِبُ لِوَاءِ الْحَمْدِ، وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، وَالْحَوْضِ الْمَوْرُودِ، وَهُوَ إِمَامُ النَّبِيِّينَ، وَخَطِيبُهُمْ، وَصَاحِبُ شَفَاعَتِهِمْ.

۞ الشـــرح:

في هذه الجمل التي أوردها المؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ التعريف بنبيِّنا محمَّد ﷺ الذي هو:

* أبو القاسم محمَّدُ بنُ عبد اللَّهِ بنِ عبد المطَّلب بنِ هاشم بن عبد مناف ابن قُصَيِّ بْنِ كِلَاب بْنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ بنِ لُؤَيِّ بْنِ غالب بن فِهْرِ بن مالك بن النَّضْر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار بن مَعْدَ بن عدنان، وعدنان من ولد نبيِّ اللَّه إسماعيل بن إبراهيم الخليل - عليهما وعلىٰ نبيِّنا أفضل الصلاة والسلام -.

* **وهو خاتم الأنبياء والمرسلين:** لا نبيَّ بعده، فمن ادَّعىٰ النبوَّة بعده؛ فقد كذب؛ لأن النصوص في القرآن والسنة دلَّت علىٰ ختم النبوَّات بنبوَّته،

وختْم الرسالات برسالته؛ قال اللَّه تعالىٰ في كتابه: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـنَ﴾ [الأَحْزَابُ: ٤٠]، وجاء في الحديث أنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «سَيَكُونُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ كَذَّابُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي»(٨٤).

* (ومحمد رسول اللَّه): رسولٌ إلىٰ الناس أجمعين، بل إلىٰ الثقلين؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سَبَأ: ٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأَعْرَافُ: ١٥٨]، وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لعليِّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أَلَا تَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَىٰ، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»(٨٥)، وقد كان كلُّ نبيٍّ يُبعث إلىٰ قومه خاصَّة، ومحمد ﷺ بُعث إلىٰ النَّاس كافَّةً، فبعد بعثته لا يصحُّ إيمان عبد حتىٰ يؤمن برسالته ويعمل بشريعته، ومن لم يؤمن برسالته؛ فهو عدوٌّ للَّه، كافر مشرك، ولو ادَّعىٰ أنه علىٰ كتاب سماويٍّ أو علىٰ ملَّة اليهودية أو النصرانية؛ فإنه لا ينفعه، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «وَاللَّهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ أَوْ نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ

---

(٨٤) رواه أحمد (٥/ ٢٧٨)، وأبو داود برقم (٤٢٥٢)، والترمذي برقم (٢٢١٩)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، من حديث ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. قال الترمذي: «حسن صحيح».

(٨٥) رواه البخاري برقم (٤٤١٦)، ومسلم برقم (٢٤٠٤)، من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»[٨٦]، وقال: «لَوْ كَانَ أَخِي مُوسَىٰ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»[٨٧]، وهذه من الخصائص لرسول هذه الأمَّة، ومن هنا فدعوة دعاة وحدة الأديان دعوة باطلة، وشبهتهم زائلة، يُلبِّسون علىٰ الناس، ويقولون: نحارب الإلحاد جميعًا، وما علموا أنهم بقولهم هذا يعارضون النصوص، ويحاربون الإسلام، وهم صفٌّ مع الأعداء بقولهم هذا، فالإسلام وحده هو الذي يحارب الإلحاد، ويحارب الانحرافات في العقائد وغيرها، ويوجِّه الأمَّة التوجيه السليم عربًا وعجمًا، وذكورًا وإناثًا، القاصيَ والدانيَ، وقد جاء في بيانٍ أصدرته اللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السعودية ما خلاصته: بأن الدعوة إلىٰ وحدة الأديان ردَّة عن الإسلام، وأن أهل الأديان الأخرىٰ هم الذين يُدْعَون إلىٰ دين الإسلام، ويُبَيَّن لهم أن ما حُرِّف في التوراة والإنجيل فلا يجوز لكم أن تحملوه، ولا أن تعملوا به، وما كان صحيحًا منه فهو منسوخ بالفرقان، والقاعدة: أن العمل بالناسخ، ويترك المنسوخ. فرسالته ﷺ شاملة عامة، فرضٌ من الفرائض علىٰ كل مكلَّف بلَغَتْه أن يؤمن بها، ومن لم يؤمن بهذه الرسالة فهو كافر بعد قيام

(٨٦) رواه مسلم برقم (١٥٣)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٨٧) رواه أحمد (١٤٦٣١ و١٥١٥٦)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٦٩٤٩)، وابن أبي عاصم في السنة (٥٠)، وأبو يعلىٰ (٢١٣٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٠٠ رقم ١٧٦)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحسنه الألباني لطرقه في الإرواء (١٥٨٩).

الحجَّة.

* (وهو خير الخلائق)، وسيِّدهم، وأفضلهم، وأكرمهم على اللَّه تعالىٰ، وأعلاهم درجة؛ قال ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٨٨].

* ولا يكون المكلَّف مسلمًا حتىٰ يؤمن برسالته، ويشهد بنبوته: فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النِّسَاءُ: ٦٥]، وقد شهد اللَّه بنبوَّة محمَّد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قال اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ [الْمُزَّمِّلُ: ١٥]، وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ [الْأَحْزَابُ: ١].

* (ولا يُقْضىٰ بين الناس في القيامة إلا بشفاعته): وقد سبق بيانُ أمر شفاعته، وأنها الشفاعة العظمىٰ الَّتِي خصَّه اللَّهُ بها في أهل الموقف.

* (ولا يدخلُ الجنَّةَ أُمَّةٌ إِلَّا بَعْدَ دُخُولِ أُمَّتِهِ): وهذا أمر ثابت بالأحاديث الصريحة الصحيحة بأن أوَّل من يستفتح باب الجنة هو نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ، فيدخلها وتدخلُها أمَّته تبعًا؛ فروىٰ مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ

(٨٨) رواه البخاري برقم (٤٧١٢)، ومسلم برقم (١٩٤)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديث الشفاعة الطويل.

يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»(٨٩). وروىٰ أيضًا من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ» الحديث(٩٠)، فتدخل أوَّل زمرة من أمَّته وجوههم علىٰ صورة البدر؛ لما أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَىٰ أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ»(٩١).

* (صاحب لواء الحمد والمقام المحمود): لواءٌ يحمله ﷺ يوم القيامة؛ لحديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا نَبِيٌّ يَوْمَئِذٍ آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ». رواه الترمذي في سننه(٩٢)، وروىٰ مسلم الأولىٰ والأخيرة(٩٣)، ومن

---

(٨٩) رواه مسلم برقم (١٩٧).

(٩٠) رواه مسلم برقم (٨٥٥).

(٩١) رواه البخاري برقم (٣٣٢٧)، ومسلم برقم (٢٨٣٤).

(٩٢) رواه الترمذي برقم (٣١٤٨) و(٣٦١٥)، قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح، وقد روىٰ بعضهم هذا الحديث عن أبي نضرة عن ابن عباس الحديث بطوله».

خصائصه ﷺ أنه صاحب المقام المحمود الذي يحمده عليه الخالق والمخلوق؛ قال تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإِسْرَاءُ: ٧٩].

* **(والحوض المورود)**: وقد سبق بيانُ حوضه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأنه حوض عظيم، ووارده كثير.

* **(إمام النبيِّين، وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم)**: وقد جاء ذلك في حديث أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ كُنْتُ إِمَامَ النَّبِيِّينَ، وَخَطِيبَهُمْ، وَصَاحِبَ شَفَاعَتِهِمْ، غَيْرُ فَخْرٍ**». رواه الترمذي وحسَّنه(٩٤).

❋ ❋ ❋

=

(٩٣) رواه مسلم برقم (٢٢٧٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، ولفظه: قال أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**».

(٩٤) رواه الترمذي برقم (٣٦١٣)، عن أبي بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

قول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أُمَّتُهُ خَيْرُ الْأُمَمِ، وَأَصْحَابُهُ خَيْرُ أَصْحَابِ الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ -، وَأَفْضَلُ أُمَّتِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ الْفَارُوقُ، ثُمَّ عُثْمَانُ ذُو النُّورَيْنِ، ثُمَّ عَلِيٌّ الْمُرْتَضَىٰ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ؛ لِمَا رَوَىٰ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا نَقُولُ وَالنَّبِيُّ ﷺ حَيٌّ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، فَيَبْلُغُ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَلَا يُنْكِرُهُ(٩٥)، وَصَحَّتِ الرِّوَايَةُ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَلَوْ شِئْتُ سَمَّيْتُ الثَّالِثَ»(٩٦)، وَرَوَىٰ أَبُو الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلَا غَرَبَتْ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ عَلَىٰ أَفْضَلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ»(٩٧)، وَهُوَ

(٩٥) رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده (٩٦٠)، وأبو يعلىٰ (٥٦٠٤)، وابن أبي عاصم في السنة برقم (١١٩٣ و١١٩٦)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٢/ ٥٧٦ - ٥٧٧ برقم ١٣٥٧)، وعنه الخلال في السنة (٢/ ٣٩٨ برقم ٥٧٧) والطبراني في الشاميين (١٧٦٤)، وابن الأعرابي في معجمه (١٢٨٦)، وابن شاهين في الكتاب اللطيف «شرح مذاهب أهل السنة» (٣١٢ رقم ١٩٢). لكن ذكر «علي» لم يأت في شيء من الطرق.

(٩٦) رواه بهذا اللفظ عبد الله بن أحمد في فضائل الصحابة (١٣٩ و٤٢٩ و٤٤٦ و٤٤٧ و٤٤٨ و٥٤٨). ورواه غيره من وجوه كثيرة، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في منهاج السنة (١/ ٣٠٨): «وقد تواتر عنه - عليٌّ - أنه كان يقول علىٰ منبر الكوفة: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، روي ذلك عنه من أكثر من ثمانين وجهًا».

(٩٧) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٢٥)، وبحشل في تاريخ واسط (١/ ٢٤٨). قال أبو نعيم: =

أَحَقُّ خَلْقِ اللَّهِ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ لِفَضْلِهِ وَسَابِقَتِهِ، وَتَقْدِيمِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ فِي الصَّلَاةِ عَلَىٰ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ عَلَىٰ تَقْدِيمِهِ وَمُبَايَعَتِهِ - وَلَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَجْمَعَهُمْ عَلَىٰ ضَلَالَةٍ - ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لِفَضْلِهِ وَعَهْدِ أَبِي بَكْرٍ إِلَيْهِ، ثُمَّ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِتَقْدِيمِ أَهْلِ الشُّورَىٰ لَهُ، ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِفَضْلِهِ وَإِجْمَاعِ أَهْلِ عَصْرِهِ عَلَيْهِ.

هَؤُلَاءِ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ الَّذِينَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِمْ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ» (٩٨)، وَقَالَ ﷺ: «الْخِلَافَةُ مِنْ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً» (٩٩)، فَكَانَ آخِرَهَا خِلَافَةُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

=

«غريب من حديث عطاء عن أبي الدرداء؛ تفرد به عنه ابن جريج، ورواه عنه بقية بن الوليد، وغيره عن ابن جريج».

(٩٨) سبق تخريجه.

(٩٩) رواه أحمد (٥/ ٢٢٠ و٢٢١)، وأبو داود برقم (٤٦٤٦ و٤٦٤٧)، والترمذي برقم (٢٢٢٦)، عن سفينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الترمذي: «حديث حسن قد رواه غير واحد عن سعيد بن جهمان، ولا نعرفه إلا من حديث سعيد بن جهمان».

الشـــرح:

في هذه الجمل بيانٌ للأمور التالية:

الأمر الأوَّل: بيانُ فضل أمَّته ﷺ على سائر الأمم، وأنها خيرها، وأبرُّها، وأكرمها على اللَّه؛ لقول اللَّه تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ولقول النبيِّ - ﷺ: «**أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً...**»(١٠٠).

الأمر الثاني: بيانٌ أن أصحاب النبيِّ ﷺ أفضلُ من سائر أصحاب الأنبياء - عليهم السلام - قبله، وقد نعت اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أصحاب نبيِّنا محمَّد ﷺ في الكتب المتقدِّمة؛ كما ذكر اللَّه عنهم في آخر سورة الفتح: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا...﴾ [الآية: ٢٩]، وقال النبيُّ ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي...**». الحديث(١٠١)، ثم هم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ متفاوتون في الفضل، وأفضلُهم الخلفاءُ الأربعة، وهم: أبو بكر الصِّدِّيق، وعمر الفاروق، وعثمان ذو النورين، وعليٌّ ذو السبطين، وممَّا دلَّ على هذا الفضل قولُ النبيِّ ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»، ولِمَا أورده المؤلِّف من حديث ابن عمر، وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

---

(١٠٠) رواه أحمد (٤/ ٤٤٦ و٤٤٧) و(٥/ ٣ و٥)، والترمذي برقم (٣٠٠١)، وابن ماجه برقم (٤٢٨٧ و٤٢٨٨)، من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده. قال الترمذي: «حديث حسن».

(١٠١) رواه البخاري برقم (٢٦٥٢)، ومسلم برقم (٢٥٣٣)، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الأمر الثالث: بيانُ ترتيب الخلفاء الراشدين:

* **أحقُّهم بالخلافة أبو بكر الصِّدِّيق الذي هو**: عبدُ اللَّهِ بنُ عثمان أبي قحافة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأنه أفضلهم وأسبقهم إلىٰ الإسلام، ورفيق النبيِّ ﷺ في هجرته، وأعظم الناس بلاءً في الإسلام، وفضائله كثيرة جدًّا؛ منها: أنَّ النبيَّ ﷺ قدَّمه في الصلاة[١٠٢]، ومنها قولُ النبيِّ ﷺ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١٠٣]، فهو الخليفة الأول في أمته، أجمع الصحابة علىٰ تقديمه ومبايعته - ولا يجمعهم اللَّه علىٰ ضلالة -.

* **ثمَّ عمر**: الَّذي هو أبو حفص الفاروقُ عمرُ بنُ الخطَّاب، الَّذي كان فرقانًا بين الحق والباطل، وسيفًا علىٰ أعداء اللَّه، فهو الخليفة الثاني، أفضلُ الصحابة بعد أبي بكر، وفضائلُه كثيرة جدًّا؛ منها: قولُ النبيِّ ﷺ: «**لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١٠٤]، ومعنىٰ

---

(١٠٢) كما في الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ أخرجه البخاري برقم (٦٦٤)، ومسلم برقم (٤١٨).

(١٠٣) رواه البخاري برقم (٣٦٥٦)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ورواه مسلم برقم (٢٣٨٣)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١٠٤) رواه البخاري برقم (٣٦٨٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورواه مسلم برقم (٢٣٩٨)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

«مُحَدَّثُونَ» أي مُلهمون، ولأن أبا بكر عهد بالخلافة إليه، فقام بها خير قيام.

* **ثُمَّ أبو عبد اللَّه عثمانُ بنُ عفَّانَ ذو النُّورَين** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ثالثُ الخلفاء الراشدين باتفاق أهل الشورىٰ، المقتولُ ظلمًا، تزوَّج ابنتَي رسول اللَّه ﷺ، وفضائلُه كثيرة جدًّا؛ منها: قولُ النبيِّ ﷺ: «**أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ**». أخرجه مسلم في صحيحه(١٠٥).

ثم أبو الحسن المرتضىٰ عليُّ بنُ أبي طالب، ابنُ عمِّ النبيِّ ﷺ، رابعُ الخلفاء الراشدين، وفضائلُه كثيرة جدًّا؛ منها: قولُ النبيِّ ﷺ: «**أَلَا تَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَىٰ، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١٠٦)، وقد بُويع بالخلافة بعد مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شهيدًا، فكان هو الخليفة شرعًا لفضله، وإجماعُ أهل عصره عليه، إلىٰ أن قُتل شهيدًا في رمضان سنة (٤٠هـ).

وفضائلُ هؤلاء الأربعة عظيمة، تجلُّ عن أن يحويها كتاب كبير، ويعتقد أهل السنة والجماعة بأفضليتهم علىٰ حسب ترتيبهم في الخلافة، ومما يُثبت هذا الاعتقاد عن السلف وصيَّةُ رسول اللَّه ﷺ فيهم بقوله: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»، وقول ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ

---

(١٠٥) رواه مسلم برقم (٢٤٠١)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(١٠٦) سبق تخريجه.

عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ». أخرجه البخاري[107]، وقال النبيُّ ﷺ: «**الْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً**». رواه أحمد وأبو داود والترمذي[108]، وقال الألباني: «إسناده حسن»[109]، ومجموع خلافة هؤلاء الأربعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: تسع وعشرون سنة وستة أشهر وأربعة أيَّام، وبقيَّة الثلاثين هي مدَّة خلافة الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين بويع بالخلافة بعد موت أبيه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولكنَّه سلَّم الأمر إلىٰ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليتحقَّق قولُ النبيِّ ﷺ: «**الْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً**»، وقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الحسن: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ يُصْلِحُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**». رواه البخاري[110].

وكأن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ حين قال: (**فَكَانَ آخِرَهَا خِلَافَةُ عَلِيٍّ**) يعتبر خلافة ابنه الحسن تابعةً لخلافة أبيه، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

---

(١٠٧) رواه البخاري برقم (٣٦٥٥).

(١٠٨) سبق تخريجه.

(١٠٩) انظر: الصحيحة (٤٥٩).

(١١٠) رواه البخاري برقم (٢٧٠٤)، من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وَنَشْهَدُ لِلْعَشَرَةِ بِالْجَنَّةِ، كَمَا شَهِدَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ»(١١١)، وَكُلُّ مَنْ شَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْجَنَّةِ شَهِدْنَا لَهُ بِهَا، كَقَوْلِهِ: «الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ الْجَنَّةِ»(١١٢)، وَقَوْلِهِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ: «إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»(١١٣)، وَلَا نَجْزِمُ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ، إِلَّا مَنْ جَزَمَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ، لَكِنَّا نَرْجُو لِلْمُحْسِنِ، وَنَخَافُ عَلَىٰ الْمُسِيءِ.**

---

(١١١) رواه أحمد (١/ ١٩٣)، والترمذي برقم (٣٧٤٧)، من حديث عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. قال الترمذي: «أخبرنا أبو مصعب قراءة عن عبد العزيز بن محمد عن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه عن النبيِّ ﷺ نحوه، ولم يذكر فيه: عن عبد الرحمن بن عوف. وقد روي هذا الحديث عن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه، عن سعيد بن زيد، عن النبيِّ ﷺ نحو هذا، وهذا أصح من الحديث الأول».

(١١٢) رواه أحمد (٣/ ٣ و٦٢ و٦٤ و٨٢)، والترمذي برقم (٣٧٦٨)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. قال الترمذي: «حسن صحيح».

ورواه أحمد (٥/ ٣٩١ و٣٩٢)، والترمذي برقم (٣٧٨١)، من حديث حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. قال الترمذي: «حديث حسن غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث إسرائيل».

(١١٣) رواه البخاري برقم (٣٦١٣)، ومسلم برقم (١١٩)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

❁ **الشـــرح:**

في هذه الجمل المتعلِّقة بشأن العشرة المبشَّرين بالجنة بيانٌ لمعتقد أهل السنة والجماعة في ذلك، فقد أثبت المؤلِّف - كغيره من أئمة السنة - وجوب الشهادة لهؤلاء العشرة، كما شهد لهم النبيُّ ﷺ في الحديث الذي أورده المؤلِّف في المتن، كما يشهد أهلُ السنة لكلِّ من شهد له النبيُّ ﷺ بالجنَّة من غير أولئك العشرة، كشهادته للحسن والحسين، وثابت بن قيس، وعكاشة بن محصن، وبلال، وآل ياسر، وغيرهم رضي الله عنهم وعن الصحابة أجمعين، كما يشهد أهل السنة بالنار على من جاءت بهم النصوص، ومنهم أبو لهب، وامرأته أم جميل، وغيرهما ممن ثبت في حقِّهم ذلك.

كما أن أهل السنة والجماعة سلفًا وخلفًا لا يجزمون لشخص معيَّن بأنه في الجنة، أو لشخص معيَّن بأنه في النار، فلا يُعيِّن أهلُ السنة إلا ما عيَّنه اللَّه، أو رسولُه ﷺ، ومن ذلك ما سبق ذكرُه من المشهود لهم بالجنة، كما أنهم يشهدون على سبيل العموم لمن مات على الإسلام بظاهر إسلامه بأنه من أهل الجنة؛ كما قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ ...﴾ [الْبَقَرَةُ: ٢٥]، ويشهدون بأن الكفار، والمشركين، والمنافقين من أهل النار؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦﴾ [الْبَيِّنَةُ: ٦]، ويرجون رحمة اللَّه للشخص المحسن بأن يرزقه اللَّه الثبات وحسن الخاتمة

ويدخله الجنة، ويخافون علىٰ الشخص المسيء إساءته التي تسبِّب سخط اللَّه عليه وعقوبته، ولا يقنِّطون عباد اللَّه من رحمته ما داموا علىٰ قيد الحياة، فباب التوبة مفتوح، ورحمة اللَّه واسعة.

كما أن معتقدهم أن مَنْ مات علىٰ ذنب من الموبقات وهو من المسلمين؛ فهو تحت مشيئة اللَّه، إن شاء عفا عنه وأدخله جنته، وإن شاء عذَّبه بقدر جُرمه، ومآله إلىٰ الجنة وإن طال أمد عذابه، نسأل اللَّه عافيته في الدنيا والآخرة.

❋❋❋

قول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، وَلَا نُخْرِجُهُ عَنِ الْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ، وَنَرَىٰ الْحَجَّ وَالْجِهَادَ مَاضِيًا مَعَ طَاعَةِ كُلِّ إِمَامٍ، بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا، وَصَلَاةَ الْجُمُعَةِ خَلْفَهُمْ جَائِزَةً، قَالَ أَنَسٌ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ مِنْ أَصْلِ الْإِيمَانِ: الْكَفُّ عَمَّنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَلَا نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ، وَلَا نُخْرِجُهُ مِنَ الْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ، وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِيَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ حَتَّىٰ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ، لَا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ، وَلَا عَدْلُ عَادِلٍ، وَالْإِيمَانُ بِالْأَقْدَارِ»(١١٤).

❁ الشـــرح:

في قول المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، وَلَا نُخْرِجُهُ عَنِ الْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ**) بيانٌ لمعتقد أهل السنة ومنهجهم في الحكم علىٰ العصاة من المسلمين، أنهم لا يكفرونهم بفعل الكبائر التي هي دون الكفر الأكبر، والشرك الأكبر، والنفاق الاعتقادي، والإلحاد المخرج من الملة، ويرون أنهم إذا تابوا؛ تاب اللَّه عليهم، وإذا ماتوا وهم عليها دون توبة؛ فهم في دائرة الإسلام، وتحت مشيئة الرحمن، وخالف في هذا المعتقد الخوارجُ والمعتزلةُ، فالأولىٰ قالوا: إن فاعل الكبيرة كافر، خالد في النار. والثانية قالوا: إنَّ فاعل الكبيرة خارج عن الإيمان، ليس بمؤمن ولا كافر، في منزلة

(١١٤) رواه أبو داود برقم (٢٥٣٢).

بين المنزلتين، وهو خالد في النار؛ وكلا القولين فاسدان، يخالفان نصوص الكتاب والسنة وإجماع السلف، وتقابل هاتين الفرقتين الفرق الغالية من المرجئة: كالجهمية، والكَرَّامية، فإن الجهمية يرون أن الإيمان الكامل هو مجرَّد اعتقادٍ بالقلب، بينما الكرَّاميَّة يرون أن الإيمان الكامل هو النطق باللسان، وكلا القولين باطل واعتقاد فاسد، وأن القول الحقَّ قول أهل السنة بأن: الإيمان نطق باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأن مآل المؤمنين الجنة وإن عُذِّبوا ببعض ما كسبوا، ولا يُكفَّر أحدٌ دون برهان، قال النبيُّ ﷺ: «**أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ. فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ**». رواه مسلم[(١١٥)]، فلا يحكم بالكفر على شخص معيَّن ممن ثبت إسلامه بيقين، حتى يبيَّن له الحق، وتقام عليه الحجة، وتزال الشبهة، وتتحقق الشروط، وتنتفي الموانع.

كما ينبغي أن يُعلم أن الكفر كفران:

كفر أكبر: مخرج من الملَّة، وهو يناقض الإيمان، ويبطل الإسلام، ويوجب الخلود في النار، ويكون بالاعتقاد والقول الفعل، وهو أنواع مذكورة في كتب أهل العلم.

(١١٥) رواه مسلم برقم (٦٠)، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ورواه البخاري برقم (٦١٠٤) عنه نحوه.

وكفر أصغر: غيرُ مخرج من الملَّة، أطلقه الشارع علىٰ بعض الذنوب علىٰ سبيل الزجر والتهديد؛ لأنها من خصال الكفر، وما كان من هذا النوع فمن كبائر الذنوب؛ كقتال المسلم، والحلف بغير اللَّه، والطعن في النسب.

كما يدلُّ كلام المؤلِّف علىٰ أن من معتقد أهل السنة والجماعة وجوبَ طاعة ولاة أمور المسلمين في المعروف في كل الأزمنة، لا تختص هذه الطاعة بزمن معيَّن، بل متىٰ ما وجد الوالي المسلم في إقليم وجب علىٰ أهل ذلك الإقليم الالتزام بالإمام، والاقتداء به في الجمعة، والحج، والجهاد، ويُدْعىٰ له، ويحذر من الخروج عليه، سواء كان برًّا أم فاجرًا، عدلًا أم جائرًا؛ لأن في الالتزام بطاعته صلاح الدين والدنيا، وفي الخروج عن طاعته فسادٌ في كل ذلك، وهذا المعتقد والمنهج خالفه أهلُ البدع والضلال من قديم وحديث، فترىٰ الخوارج - ومنهم خوارج العصر - فسادهم ظاهر في هذا الأمر، وترىٰ الروافض الذين لا يرون الإمامة إلا في أئمتهم الاثنيْ عشر.

ويدلُّ آخر كلام المؤلف علىٰ أهمية الإيمان بأقدار اللَّه، وهذه الحقيقة قد بيَّنَّاها في حديث سبق.

❊ ❊ ❊

قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمِنَ السُّنَّةِ تَوَلِّي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَحَبَّتُهُمْ، وَذِكْرُ مَحَاسِنِهِمْ، وَالتَّرَحُّمُ عَلَيْهِمْ، وَالاِسْتِغْفَارُ لَهُمْ، وَالْكَفُّ عَنْ ذِكْرِ مَسَاوِئِهِمْ وَمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَاعْتِقَادُ فَضْلِهِمْ، وَمَعْرِفَةُ سَابِقَتِهِمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحَشْر: ١٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفَتْح: ٢٩]، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الشرح:

هذه الجمل تدلُّ على أن أولى المؤمنين بالمحبَّة والموالاة لهم هم أصحاب النبيِّ ﷺ، وذلك لما ورد من فضائلهم، ولسابقة إسلامهم وجهادهم، وصحبتهم للنبيِّ ﷺ، وحفظهم لسنته، فإن اللَّه اصطفاهم على الناس، واختارهم لصحبة نبيِّه ﷺ، وكفاهم بذلك شرفًا، وقد قال تعالى في حقِّهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التَّوبَة: ١٠٠]، وقال أيضًا: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا

سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]، ولهم فضلٌ علىٰ هذه الأمَّة حيث قاموا بنصرة اللَّه ورسوله، وحفظ دين اللَّه بحفظ كتابه وسنَّة نبيِّه ﷺ علمًا وعملًا وتعليمًا حتىٰ بلَّغوه الأمة، والجهاد في سبيل اللَّه بأموالهم وأنفسهم، فتجب علينا محبَّتهم، والثناء عليهم، والترحُّم عليهم، والاستغفار لهم تحقيقًا لقول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠]، كما يجب الكفُّ عن أخطاءٍ صدرت عن أحد منهم، وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيبًا لهم ونقصًا فيهم، والسكوت عما شجر بينهم من خلاف، أو نزاع، أو اقتتال، أو نحو ذلك؛ لأن الخوض في شأن ما شجر بينهم قد يؤدي إلىٰ انتقاص أحد منهم، بل نعتقد أنهم في ذلك مجتهدون، من أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر، واللَّه يتقبَّل من محسنهم، ويغفر لمسيئهم، كما يحرُم سبُّهم وانتقاصُهم، بل يذكرون بما يستحقُّون من الثناء الجميل، والترحُّم علىٰ الجميع، والموالاة لكافَّتهم؛ لقول النبيِّ ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١١٦)، وأخرج اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة أنه وقع بين عبيد اللَّه بن عمر وبين المقداد كلامٌ، فشتم عبيدُ اللَّهِ

(١١٦) رواه البخاري برقم (٣٦٧٣)، ومسلم برقم (٢٥٤١)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المقدادَ، فقال عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (عَلَيَّ بِالْحَدَّادِ أَقْطَعْ لِسَانَهُ؛ لَا يَجْتَرِئَ أَحَدٌ بَعْدَهُ فَيَشْتُمَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ)(١١٧).

وبهذا يتبيَّن منهج أهل السنة في الصحابة، وأنه وسط بين الإفراط والتفريط، فهم مُحِبُّون لعموم أصحاب النبيِّ ﷺ ويوالونهم، لكنهم لا يغلون في أحد منهم فيرفعونه فوق منزلته، ويتبرءون من طريقة الروافض الذين يبغضون أصحاب رسول اللَّه ﷺ، ويغلون في أهل البيت، ويرفعونهم فوق منزلتهم التي أنزلهم اللَّه عَزَّوَجَلَّ إيَّاها، حتىٰ إن من الروافض من يلعن الشيخين أبا بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، ومنهم من يجعل عليَّ بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلهًا من دون اللَّه، وهذا غلوٌّ خطير، وكُفْر باللَّه تعالىٰ، وافتراءٌ علىٰ اللَّه عَزَّوَجَلَّ، ويتبرَّأ أهلُ السنة من طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت، ومنهم من خصَّ عليًّا بالسبِّ واللعن علىٰ نقيض فعل الروافض، وكلتا الطائفتين علىٰ ضلال.

❁ ❁ ❁

---

(١١٧) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٧/ ١٢٦٣ - ١٢٦٤ رقم ٢٣٧٥ - ٢٣٧٧).

قول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وَمِنَ السُّنَّةِ التَّرَضِّي عَنْ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُطَهَّرَاتِ الْمُبَرَّآتِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ، أَفْضَلُهُنَّ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَعَائِشَةُ الصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ الَّتِي بَرَّأَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَمَنْ قَذَفَهَا بِمَا بَرَّأَهَا اللَّهُ بِهِ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ.**

❁ الشـــرح:

كما أن أهل السنة يحبُّون أهل بيت النبيِّ ﷺ المؤمنين منهم، عملًا بقول النبيِّ ﷺ: «**أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**». رواه مسلم(١١٨)، ومن أهل بيته أزواجُه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُنَّ، وأفضلُهن خديجةُ بنت خويلد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، والصِّدِّيقة بنتُ الصِّدِّيق عائشةُ بنتُ أبي بكر - رضي الله عنها وعن أبيها -، المبرَّأة في كتاب اللَّه من فوق سبع سموات، فمن رماها بالإفك فهو كافر جاحد لكتاب اللَّه تعالىٰ، وكل زوجاته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ زوجاته في الدنيا والآخرة، وأمَّهات المؤمنين طاهرات مطهَّرات.

❁ ❁ ❁

---

(١١٨) رواه مسلم برقم (٢٤٠٨)، من حديث زيد بن أرقم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَمُعَاوِيَةُ خَالُ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَاتِبُ وَحْيِ اللَّهِ، أَحَدُ خُلَفَاءِ الْمُسْلِمِينَ.

❁ الشـــرح:

معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ صحابيٌّ جليل: أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان صخرِ بنِ حربٍ، أسلم عام الفتح، اجتمع الناس عليه بعد تنازل الحسن بن علي سنة (٤١هـ)، فصار إمامًا للمسلمين، كان له السمع والطاعة منهم، وفيهم بعضُ أصحاب رسول اللَّه ﷺ، لم ينازعه أحد منهم، كان يكتب للنبيِّ ﷺ من جملة كُتَّاب الوحي، وذكره المؤلِّف للردِّ علىٰ الروافض الذين يسبُّونه ويقدحون في خلافته، وسمَّاه خال المؤمنين؛ لأنه أخو أمِّ حبيبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا إحدىٰ أمَّهات المؤمنين.

❁ ❁ ❁

قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمِنَ السُّنَّةِ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَأُمَرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ، مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا طَاعَةَ لِأَحَدٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَمَنْ وَلِيَ الْخِلَافَةَ وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ وَرَضُوا بِهِ، أَوْ غَلَبَهُمْ بِسَيْفِهِ حَتَّىٰ صَارَ الْخَلِيفَةَ، وَسُمِّيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَجَبَتْ طَاعَتُهُ، وَحَرُمَتْ مُخَالَفَتُهُ وَالْخُرُوجُ عَلَيْهِ وَشَقُّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ.

❁ الشــــرح:

في هذه الجمل التي أوردها المؤلِّف زيادة تأكيد وتوضيح لمسألة عظيمة من مسائل الاعتقاد، ألا وهي وجوبُ طاعة أئمَّة المسلمين، وأمرائهم في المعروف؛ لقول اللَّه تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]، ولقوله ﷺ: «**السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ**». متفق عليه(١١٩)، والخلافة منصب عظيم تحصل إما بالنص عليه من الخليفة السابق؛ كما نصَّ أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإمَّا باجتماع أهل الحلِّ والعقد؛ كما في خلافة عثمان وعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وإما بالقهر والغلبة؛ كما في خلافة عبد الملك بن مروان، وتجب طاعةُ السلطان

(١١٩) رواه البخاري برقم (٧١٤٤)، ومسلم برقم (١٨٣٩)، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

سواء كان برًّا قائمًا بأمر اللَّه، أو فاجرًا فاسقًا، ما لم يأمر بمعصية اللَّه فلا يطاع في تلك المعصية، ولا يُخْرَج عليه بسببها؛ لأن الخروج على الأئمَّة محرَّم يسبِّب الفتنة؛ قال ﷺ: «**يَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ تَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ، قَالُوا: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: لَا مَا صَلَّوْا، لَا مَا صَلَّوْا**». رواه مسلم(١٢٠)، وكم لهذه النصوص من نظائر تدلُّ على وجوب طاعة ولاة أمور المسلمين والتعاون معهم، وتحذِّر من الخروج عليهم والإساءة إليهم، ومن النصوص ما توضِّح صفات الخارجين عليهم وأنهم سفهاء الأحلام، وكلاب النار، ومثيري الفتن، نسأل اللَّه أن يُوفِّق ولاة أمرنا لما يحبُّه ويرضاه، ويجعلهم من الهداة المهتدين.

❁ ❁ ❁

(١٢٠) رواه مسلم برقم (١٨٥٤)، من حديث أم المؤمنين أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وَمِنَ السُّنَّةِ هُجْرَانُ أَهْلِ الْبِدَعِ، وَمُبَايَنَتُهُمْ، وَتَرْكُ الْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ، وَتَرْكُ النَّظَرِ فِي كُتُبِ الْمُبْتَدِعَةِ، وَالْإِصْغَاءِ إِلَىٰ كَلَامِهِمْ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ فِي الدِّينِ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ مُتَسَمٍّ بِغَيْرِ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ مُبْتَدِعٌ كَالرَّافِضَةِ، وَالْجَهْمِيَّةِ، وَالْخَوَارِجِ، وَالْقَدَرِيَّةِ، وَالْمُرْجِئَةِ، وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَالْكَرَّامِيَّةِ، وَالْكُلَّابِيَّةِ، وَنَظَائِرُهُمْ، فَهَذِهِ فِرَقُ الضَّلَالِ، وَطَوَائِفُ الْبِدَعِ، أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهَا.**

❁ الشـــرح:

هذا الموضوع من أهم الموضوعات، والبدعة هي: كلُّ أمرٍ لم يأت علىٰ فعله دليلٌ شرعيٌّ من الكتاب والسنة، وهي ضدُّ السنة، والبدع من أخطر المعاصي، وتأثيرها سيِّئ علىٰ المجتمعات، والمتتبِّع لسير السلف الصالح يجد أن لهم موقفًا عظيمًا من البدع وأهلها، بيانًا لها، وتحذيرًا منها ومن أهلها، ومن ذلك هجران أهل البدع بالابتعاد عنهم، وترك محبَّتهم وموالاتهم والسلام عليهم وزيارتهم وعيادتهم، ونحو ذلك، فهو أمر واجب؛ لقول اللَّه تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢]، ولأن في مخالطتهم تأثيرًا علىٰ القلوب السليمة، ولقد كان بعض السلف يأبىٰ أن يجلس إليه أهل البدع، ويقول: أخاف علىٰ قلبي أن يقذف فيه شرًّا، ولأن الابتعاد عن مواطن الضلال واجب.

* وكل بدعة في الدين من أي نوع كانت فهي محرَّمة وضلالة؛ لقوله ﷺ: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**». رواه أبو داود والترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح»[١٢١]، ولقوله ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»، وفي رواية: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[١٢٢]، وتحريمها يتفاوت بحسب نوعية البدعة: فمنها ما هو كفر صراح يخرج من الدين، كالطواف بالقبور تقرُّبًا إلىٰ أصحابها، وتقديم الذبائح والنذور لها رجاء جلب نفع، أو دفع ضُرٍّ منها، وكمقالات غُلاة الجهميَّة والمعتزلة.

ومنها ما كانت من وسائل الشرك، كالبناء علىٰ القبور، والصلاة والدعاء عندها.

ومنها ما هو فسق، كبدعة الخوارج.

ومنها ما هو من صغائر الذنوب. وليس في البدع شيء حسن، بل كلها ضلالة؛ كما حكم عليها رسولُ اللَّه ﷺ. وأهل السنة والجماعة لا يُطلقون حكمًا واحدًا علىٰ أهل البدع، بل يتفاوت الحكم من شخص إلىٰ آخر بحسب بدعته، فالجاهل ليس كالعالم بما يدعو إليه من البدع، وهم يردُّون علىٰ دعاة

(١٢١) سبق تخريجه.

(١٢٢) رواه البخاري برقم (٢٦٩٧)، ومسلم برقم (١٧١٨)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والرواية الثانية لمسلم.

البدع، وينكرون عليهم بدعهم علانية، ولا تبقىٰ لهم غِيبة، ويمنعونهم من مزاولتها، يبيِّنون السنن، وينقضون الشبه، ويرجون لهم اتباع السنة والهدىٰ، ولعلماء أهل السنة والجماعة جهود محمودة في الردِّ علىٰ أهل الأهواء والبدع، حيث كانوا دائمًا لهم بالمرصاد، وأقوالهم كثيرة جدًّا، وقد ألَّفوا المؤلَّفات الكثيرة في بيان البدع وخطرها، وخطر أهلها وزجرهم، وفي ذكر علامات أهلها، واقرأ كتب الأئمة تجد ذلك؛ اقرأ كتب الإمام أحمد، وابن تيمية، وابن قيم الجوزية، والدارمي، والشاطبي، ومحمد بن عبد الوهاب، واقرأ رسالة التحذير من البدع للإمام عبد العزيز بن باز - رحمهم الله جميعًا -، تجد ما دوَّنوه من تحذير الصحابة منهم، كأمثال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعبد اللَّه بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وعبد اللَّه بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومن التابعين لهم بإحسان؛ كالحسن البصري، وعبد اللَّه بن المبارك، والأوزاعي، ومحمد بن سيرين، ومالك بن أنس، والشافعي، وأبو عثمان إسماعيل الصابوني - رحمهم الله جميعًا -، وغيرهم كثير، ولا يزال علماء المسلمين - وللَّه الحمد - ينكرون البدع، ويردُّون علىٰ المبتدعة، وهذا له أثر كبير في توعية المسلمين بالسنة، والتحذير من البدعة.

* ومن منهج السلف أيضًا تركُ المنازعة والمجادلة في أمور الدين لغرض التعنُّت أو الانتصار للنفس، أو للباطل، أما إذا كان الغرض من الخصام والجدال إثبات الحق، وإبطال الباطل؛ فهذا مأمور به، لقول اللَّه

تعالىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل: ١٢٥].

ثم أورد المؤلِّف من طوائف المبتدعة ما يلي:

١- **الرافضة**: هم الذين يَغْلون في آل البيت، ويُكفِّرون من عداهم من الصحابة، أو يُفسِّقونهم، وهم فرق شتَّىٰ: فمنهم الغلاة، ومنهم دون ذلك، وسُمُّوا رافضة؛ لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حين سألوه عن أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فترحَّم عليهما، فقالوا: إذًا نرفُضُك.

٢- **الجهمية**: نسبة إلىٰ الجهم بن صفوان الذي قتله سلم بن أحوز سنة: (١٢١هـ)، أخذ فكره المنحرف في الأسماء والصفات عن الجعد بن درهم الذي قتله خالد القسري، ونُسبت الجهمية إليه؛ لأنه هو الذي نشر تعطيل الصفات، والقول بالجبر في القدر، والإرجاء في الإيمان، وأن الإيمان مجرد الإقرار بالقلب.

٣- **الخوارج**: أصلُهم هم الذين خرجوا لقتال عليٍّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومنهجهم الخروج علىٰ السلطان من أئمَّة المسلمين، وتكفيرُ فاعل الكبيرة، وتخليدُه في النار.

٤- **القدرية**: هم الَّذين يقولون بنفي القدر عن أفعال العباد، وأن للعبد إرادة وقدرة مستقلة عن إرادة اللَّه وقدرته، وأوَّل من أظهر القول به معبدٌ الجهني في أواخر عصر الصحابة، تلقَّاه عن رجل مجوسي في البصرة، والقدرية

فرقتان: غلاة، وهم الذين ينكرون علم اللَّه وإرادته وقدرته وخلقه لأفعال العباد، وغير غلاة وهم الذين يؤمنون بعلم اللَّه لأفعال العباد، لكنهم ينكرون وقوعها بإرادة اللَّه وقدرته وخلقه، وهذا يقتضي إثبات خالق لأفعال العباد غير اللَّه.

٥- **المرجئة**: وهم الذين يقولون بإرجاء العمل عن الإيمان، فليس العمل عندهم من الإيمان، وهم أصناف، ومنهم من يقول: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، والفاسق عندهم مؤمن كامل الإيمان وإن فعل ما فعل من المعاصي أو ترك ما ترك من الطاعات.

٦- **المعتزلة**: أتباع واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري، ويرون أن الفاسق في منزلةٍ بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر، وفي الآخرة هو مخلَّد في النار.

٧- **الكَرَّاميَّة**: أتباع أبي عبد اللَّه محمد بن كَرَّام، وكان ممن يُثبت الصفات إلا أنه ينتهي إلىٰ التجسيم والتشبيه، ويقول بالإرجاء.

٨- **الكُلَّابيَّة**: نسبة إلىٰ عبد اللَّه بن سعيد بن كُلَّاب البصري، من أهل الكلام في الأسماء والصفات.

٩- ولهذه الطوائف الضالة نظائر، مثل الأشعرية الذين يثبتون من الصفات سبعًا، زاعمين أن العقل دلَّ عليها، ويؤوِّلون ما عداها، ولهم بدع أخرىٰ في القرآن وغيره.

قول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ إِمَامٍ فِي فُرُوعِ الدِّينِ، كَالطَّوَائِفِ الْأَرْبَعِ فَلَيْسَ بِمَذْمُومٍ، فَإِنَّ الِاخْتِلَافَ فِي الْفُرُوعِ رَحْمَةٌ، وَالْمُخْتَلِفُونَ فِيهِ مَحْمُودُونَ فِي اخْتِلَافِهِمْ، مُثَابُونَ فِي اجْتِهَادِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ رَحْمَةٌ وَاسِعَةٌ، وَاتِّفَاقُهُمْ حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ.**

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعْصِمَنَا مِنَ الْبِدَعِ وَالْفِتْنَةِ، وَيُحْيِينَا عَلَىٰ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ، وَيَجْعَلَنَا مِمَّنْ يَتَّبِعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْحَيَاةِ، وَيَحْشُرَنَا فِي زُمْرَتِهِ بَعْدَ الْمَمَاتِ بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ، آمِينَ.

وَهَذَا آخِرُ الْمُعْتَقَدِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَصَلَّىٰ اللَّهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

۞ الشـــرح:

بعد أن ذكر المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ اعتقاد أهل السنة والجماعة ومنهجهم في أهم مسائل الاعتقاد، ووجوب اتباعهم، أردف بذكر حكم اتباع الأئمة في مسائل الدين التي لا تتعلَّق بالعقائد، ووقع فيها الخلاف بين أئمة أهل العلم، في مسائل الفقه العملية، كبعض مسائل الطهارة، والصلاة، والحج، وغيرها، أما مسائل العقيدة فهي ليست محلَّ تقليد، ويشير بالطوائف الأربع إلىٰ المذاهب المشهورة: المذهب الحنفي، وصاحبُه الإمام أبو حنيفة النعمان

رَحِمَهُ ٱللَّهُ الفقيه، والمشهور بالورع والتقىٰ والزهد، والمذهب المالكي، وصاحبُه الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمام دار الهجرة، عالم الحديث والفقه، والمذهب الشافعي، وصاحبُه الإمام محمد بن إدريس الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والمذهب الحنبليُّ، وصاحبه الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهؤلاء أئمة كبار، بقيت مذاهبهم، وانتشرت في الناس، وصار لكل منهم أتباع، وهم مجتهدون رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطئوا فلهم أجر واحد، وكل منهم يؤخذ من قوله ويُردُّ، وعلىٰ المسلم الأخذ بما عليه الدليل، وإن كان من العامَّة ولا يستطيع ذلك قلَّد من يوثق بعلمه من غير تعصُّب، ومتىٰ تبيَّن له الدليل فيتبعه مع من كان من الأئمة الأربعة أو من غيرهم.

وختم المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالته التي ضمَّنها عقيدة أهل السنة والجماعة بلجوء إلىٰ اللَّه تعالىٰ أن يعصمه من الفتن، وهي التي تؤثِّر في القلوب وتمرضها بالشبهات والشهوات، ومن وُقِي ذلك فقد وُقِي الشرَّ، وسلم قلبُه، وعاش حياته مطمئنًّا في ظل طاعة اللَّه وطاعة رسوله ﷺ، أسأل اللَّه أن يتقبَّل من الإمام ابن قدامة المقدسي صاحب هذه العقيدة، وأن يغفر له، ويرفع درجته في عليِّين، وأن ينفعنا بما علَّمنا، ويختم بالصالحات أعمالنا، واللَّه وليُّ التوفيق، وهو الهادي إلىٰ سواء السبيل، وصلىٰ اللَّه وسلَّم علىٰ خاتم النبيِّين، وخاتم المرسلين، وقائد الغرِّ المحجَّلين.

«الْفَهَـــارِسُ»

«فِهْرِسُ أَطْرَافِ الآيَاتِ»

فهرس الآيات

«البقرة»

«آل عمران»

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
«النمل»		
﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾	٨٢	١٠٣
﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾	٨٧	١٠٦
«العنكبوت»		
﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ﴾	٤٩	٧٤
«الأحزاب»		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾	١	١٢٢
﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ ﴾	٤٠	١٢٠
﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾	٤٣	١٠
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾	٦٤-٦٥	١١٧
«سبأ»		
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾	٢٨	١٢٠
﴿ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾	٣١	٧٣
«فاطر»		
﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾	١٥	١٢
﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾	٣٦	١١٦

«فِهْرِسُ أَطْرَافِ الْحَدِيثِ»

«فهرس الأحاديث»

(آ)

(أ)

(إ)

(ث)

(ح)

(خ)

(ر)

(س)

(ش)

(ع)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

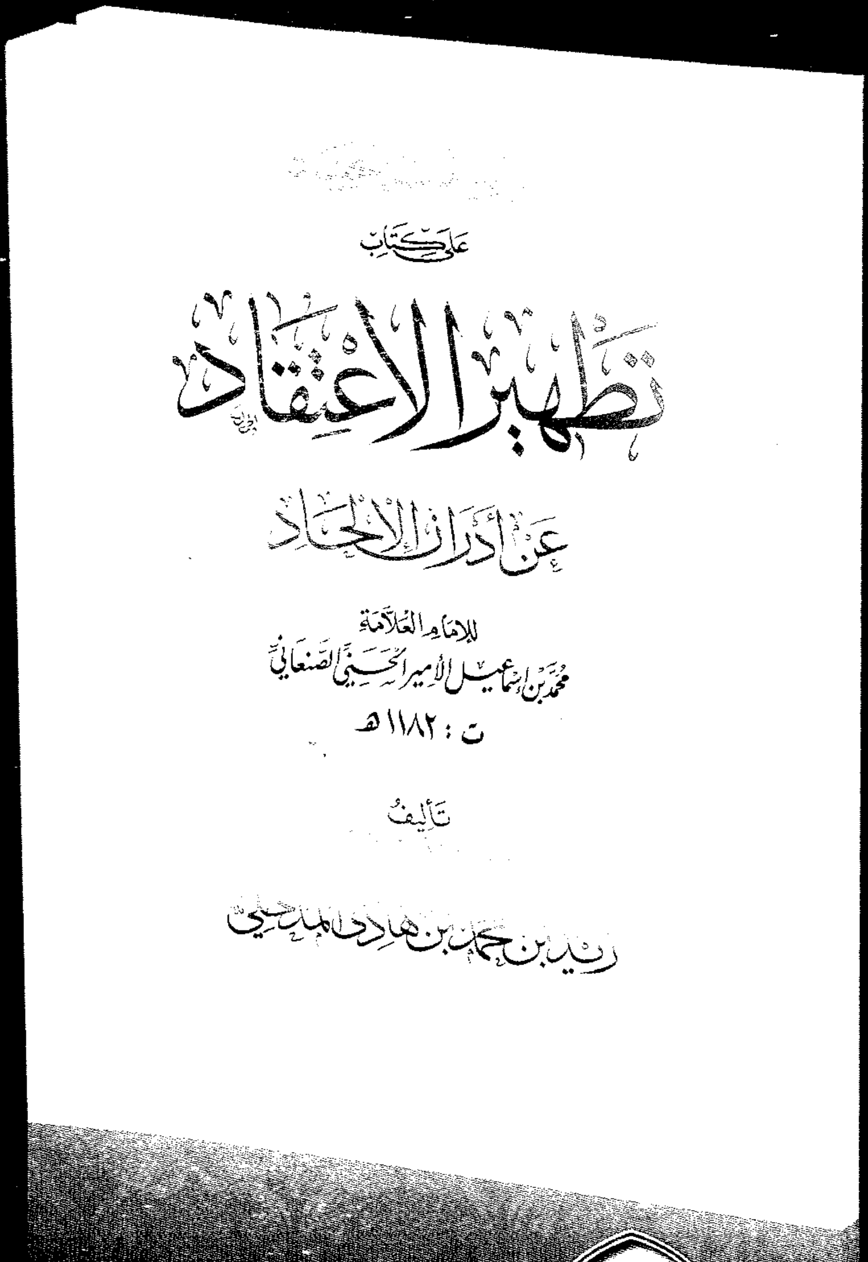
(ي)

«فهرس الموضوعات»

«فِهْرِسُ الْمَوْضُوعَاتِ»

الموضـــوع — الصفحة

صدر للمؤلف



ISBN 994798734-5
9 789947 987346

الميراث النبوي للنشر والتوزيع
الـــــدار البيضـــــاء - الجـــزائر العاصمة
الإدارة: 554250098 (00213)
المبيعات: 661409999 (00213) الفاكس: 21966847 (00213)
البريد الإلكتروني: Dar.mirath@gmail.com